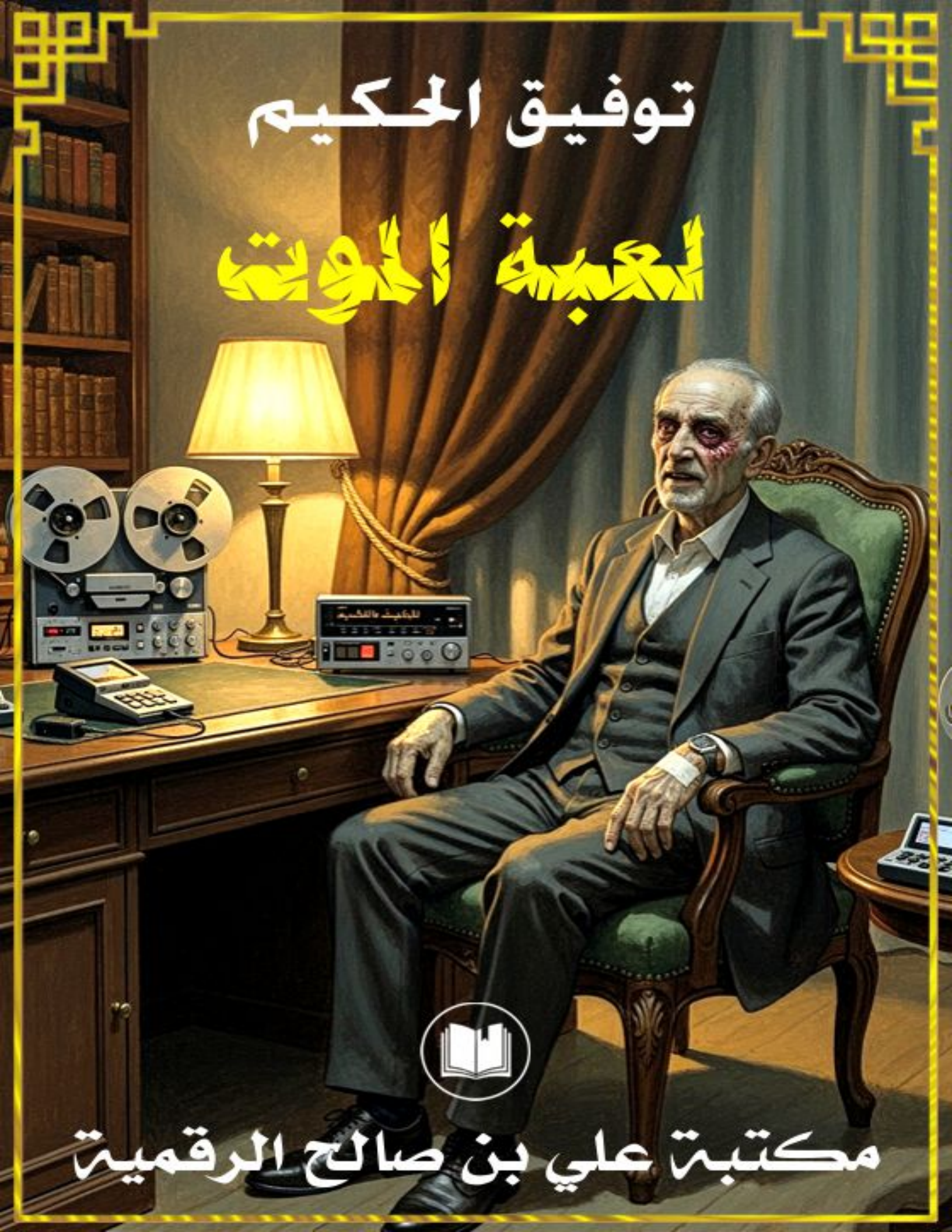
توفيق الحكيم
لعبة الموت
مكتبة علي بن صالح الرقمية

توفيق الحكيم

لعبة الموت

مسرح

1957

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

الفصل الأول

(كل شيء يجري هنا في جناح فندق كبير ... في الصالون، وقد وقف رجل في نحو الخمسين لم يُتم ارتداء ثيابه، يعقد رباط الرقبة وهو يتحدث إلى جهاز تسجيل موضوع في أحد الأركان.)

الرجل (لجهاز التسجيل): لا داعي لذكر اسمي ... في أوراقي كل ما يُثبت شخصيتي ... لن أسجل هنا غير الحوادث التي ستجري أمامكم ... خلال الأشهر الثلاثة أو الأربعة التي بقيت لي في الحياة ... وهذا أمر مقطوع به بالطبع ... في أوراقي أيضًا كل تقارير الأطباء ... وهي لا تقبل الشك ... الإشعاع الذري أصابني إصابة قاتلة ... الاختلاف هو على تاريخ الوفاة ... والفروق يسيرة على كل حال ... تُعد بالأشهر القليلة. ليس هذا هو المهم ... المهم الآن في نظري، وربما في نظركم أيضًا، هو: كيف أستخدم هذه الشهور المعدودة؟ لقد تم اختياري، وأعددت العُدة للتنفيذ ... لن يُرضي هذا الاختيار العقلاء والشرفاء ... أعلم ذلك، ولكن هل لرأي العقلاء والشرفاء وزن؟! ... لو كان لرأيهم وزن في عالمنا الحاضر، لما أُصبت أنا بإشعاع ذري قاتل! ... أنا الأستاذ الجامعي ... أنا المؤرخ المتخصص في التاريخ القديم! ... أنا الرجل البعيد عن ميادين الحرب والقتل! ... دعوني إذن أصنع بأيامي الباقية ما أريد ... ولتكُن إرادتي صورة مصغرة لإرادة هذا العصر الفظيع! ... لا تقولوا إني مجنون ... بل قولوها! لا يهمني شيء ... الكلمات قد فقدت معناها ... لم أعُد أثق بشيء ولا بأحد ... كل ما أنتظره منكم أن تصغوا إلى هذا التسجيل وتلعنوني! ... إنكم لا تسمحون لفرد أن يلعب لعبة الموت، ولكنكم تسمحون لدول بأسرها أن تلعبها! ... لقد سكتُّم وهم يلعبون بحياتي ... فاسكتوا إذن وأنا ألعب بحياة غيري ... هنا ستتابعون جريمة قتلٍ خطوة بخطوة ... فلا تنزعجوا كثيرًا!

(جرس الهاتف يدق، فيغلق المؤرخ جهاز التسجيل، ويتجه إلى مكان التليفون ويرفع السماعة.)

المؤرخ (في التليفون): ألو! ... آه، نعم ... فلتصعد!

(يضع السماعة، ثم يُسرِع إلى استكمال ارتداء ملابسه ... ويعود إلى جهاز التسجيل، ويفتحه ويديره.)

المؤرخ (في جهاز التسجيل): ستصعد إلى هنا، بعد لحظة، كليوباترا! ... إنها بالطبع ليست كليوباترا القديمة التي ألّفتُ عنها كتابي المشهور ... لا، إنها كليوباترا الراقصة ...

في ملهًى ليلي صغير اسمه «الطاووس الذهبي» ... إنها الشخصية الهامة في موضوعي اليوم ... سأترك الجهاز دائراً طول الوقت ليسجل لكم ما سيجري.

(يترك الجهاز دائراً ويُخفيه خلف آنية زهر كبيرة ... وعندئذٍ يسمع طرقًا على الباب، فيسرع إليه ويفتحه، فتدخل الراقصة كليوباترا — وهي حسناء لم تتجاوز الخامسة والعشرين — في هندام فقير، ولكنه نظيف أنيق.)

المؤرخ: إني في انتظارك ... كما ترين!

كليوباترا: لم أتأخر كثيراً ... أليس كذلك؟

المؤرخ: جئتِ في الموعد (يشير إلى مقعد قرب جهاز التسجيل) تفضلي ... هنا ... هنا.

كليوباترا: إنك تستقبلني كأنك رجل أعمال يستقبل عميلًا!

المؤرخ: لم ألاحظ ذلك ... تقصدين أني ...

كليوباترا: جاد أكثر مما ينبغي!

المؤرخ: كنت تتوقعين أن أستقبلك بالعناق؟

كليوباترا: هذا هو الطبيعي.

المؤرخ: كنت أظن العلاقة بيننا لم تصل إلى هذا الحد بعد!

كليوباترا: العلاقة بيننا؟! ... لا تُضحكني! ... أتسمح أن أُدخِّن؟

المؤرخ: تريدين شرابًا؟

كليوباترا: أريد الآن سيجارة.

المؤرخ (يقدم إليها سيجارة ويشعلها لها)**:** إنك تسيئين فهم الموقف.

كليوباترا: الموقف مفهوم جداً يا سيدي ... هذا يحدث كل يوم.

المؤرخ: لا ... إني لست الرجل الذي تظنين.

كليوباترا (وهي تنفث دخان سيجارتها)**:** ماذا تريد مني إذن؟

المؤرخ (يتأمّلها مليًا)**:** تُدهشني هذه القدرة على تبسيط الأمور بهذا الشكل.

كليوباترا: لأن الوقت من ذهب ... ألا تعرف هذه الحكمة؟!

المؤرخ: أعرفها على نحوٍ آخر.

كليوباترا: لا يوجد نحوٌ آخر ... كل إنسان يجب أن يعرف ما يريد، ويصل إليه من أقصر طريق.

المؤرخ: وهل تعرفين ما تريدين؟

كليوباترا: بالطبع.

المؤرخ: الذهب؟

كليوباترا: يجب أن أعيش.

المؤرخ: هذا حقك ... كلنا نريد أن نعيش ... ومع ذلك ...

كليوباترا: ماذا؟

المؤرخ: لا شيء ... اسمعي! أتعرفين لماذا أنت هنا؟

كليوباترا: لأنك طلبتني.

المؤرخ: لأي غرض طلبتك؟

كليوباترا: ما هذه الحماقة؟! ... لا تؤاخذني! ... إني لم أتعود هذا النوع من الأسئلة.

المؤرخ: لسبب بسيط، وهو أنك لم تتعودي هذا النوع من الرجال ... أليس كذلك؟

كليوباترا: قلت لي عندما تلاقَينا في الملهى أول ليلة إن صناعتك ... ماذا قلت لي؟! ... لم أفهم بالضبط.

المؤرخ: مؤرخ ... رجل يكتب عن الماضي ... ولي كتاب عن كليوباترا.

كليوباترا: آه، نعم ... كليوباترا ... قلت لي ذلك ... تذكرت الآن. إنها صناعة مربحة ولا شك (تُجيل بصرها في المكان) مَن يقطن جناحًا في هذا الفندق الضخم؟! ... لم أكن أتصورك بهذا الثراء! ... برغم سخائك في الملهى كل ليلة! ... لم أُصدّق أني سأجدك هنا ... عندما أعطيتني عنوان الفندق، جئتُ بدافع الفضول. أعترف لك الآن بذلك ... هذه أول مرة أدخل فيها هذا الفندق، وكدت أعود على أعقابي أمام نظرات الخدم والمستخدمين ... كأنهم يقولون: ليس هنا مكانك!

المؤرخ: لا تقولي هذا ... أرجوك!

كليوباترا: ولكني تشجعت وصعدت ... في مصعد مُبطّن بالمرايا مع غلام انحنى لي مع ذلك، بكل احترام! ... نعم، بكل احترام (تضحك ساخرةً)!

المؤرخ: ولِمَ لا؟

كليوباترا: أنت أيضًا تعاملني بكل احترام! ... أعترف الآن بذلك، على الرغم من فتورك وجمودك ... لم تمتد إليّ يدك بحركة وقحة، ولم أسمع منك كلمة بذيئة كما يفعل الآخرون ... بل إنك لم تطلب مني شيئًا بعد ... غير هذا الموعد ... بعد أسابيع من لقائنا الأول.

المؤرخ: ولن أطلب منك شيئًا أبدًا!

كليوباترا: لماذا أنا هنا إذن؟!

المؤرخ: لأنك أنت التي ستنالين مني شيئًا ... لكن، لا بد من أن ألقي عليك بضعة أسئلة ... إذا سمحت ... أولًا، هل قلت لأحد إنك آتية هنا اليوم؟

كليوباترا: لا.

المؤرخ: وأنطونيو؟

كليوباترا: أنطونيو من؟!

المؤرخ: ذلك الشاب الذي يلعب بالخناجر، في تلك «النِّمَر» المدهشة! ... ألم تقولي لي ذات ليلة إنه هو الوحيد المسيطر على قلبك؟!

كليوباترا: وما دخله هنا؟!

المؤرخ: ألا تقولين له، مثلًا، إنك ...

كليوباترا: ليس من الضروري أن أبلغه كل تحركاتي.

المؤرخ: سؤال آخر: من وارثك الشرعي؟

كليوباترا: ماذا تقول؟!

المؤرخ: وضْعُ السؤال على هذا النحو خطأ ... إنما أقصد: من يعنيه أمر شئونك المالية؟

كليوباترا (ساخرةً): شئوني المالية؟! ... إني يا سيدي راقصة متواضعة في ملهًى، ولست صاحبة شركة ولا مضارِبة في بورصة!

المؤرخ: مرة أخرى أسيء التعبير ... قصدي مدخراتك، أو أجرك، أو أي مبلغ تحصلين عليه، أو تخفينه ... من الذي يشاركك في معرفة سرِّه؟

كليوباترا: ما هذه الأسئلة؟! ... هل أنت مُخبِر بوليس؟ ... أستطيع أن أقسم لك أن يدي نظيفة يا سيدي!

المؤرخ: إني واثق.

كليوباترا: لماذا إذن هذه الاستجوابات؟

المؤرخ: بعد قليل تعرفين السبب ... كل ما أرجوه منك أن تكوني هادئة.

كليوباترا: إني هادئة ... ماذا تريد أن تعرف عني أيضًا؟

المؤرخ: تلك المرأة البدينة صاحبة الملهى تقولين إنها أمك.

كليوباترا: هكذا أناديها، ولكنها ليست أمي ... الكل يعرفون ذلك ... أمي الحقيقية ماتت وهي تضعني ... ولا أعرف لي أبًا ... وربما هي أيضًا لم تكن تعرف ... وشَبَبْتُ مع أطفال

صديقة لها ... واجتذبني ذلك الملهى وأنا في الثانية عشرة، فلم أعرف منذ ذلك الوقت أمًا غير تلك التي أناديها اليوم بأمي ... صاحبة الملهى ... هل تريد معلومات أخرى؟

المؤرخ: أمك هذه تُحسِن معاملتك؟

كليوباترا: بالطبع ... بالقدر الذي لا يضر بمصالحها.

المؤرخ: وحبيبك لاعب الخناجر ... هل تثقين به؟

كليوباترا: كل الثقة.

المؤرخ: هل هو غيور؟

كليوباترا: بالطبع ... بالقدر الذي لا يضر بمصالحي.

المؤرخ: أوضاع معقولة!

كليوباترا: انتهت الأسئلة؟

المؤرخ: سؤال أخير: هل تحبين الحياة؟

كليوباترا: ومن الذي يكرهها؟!

المؤرخ: صدقت ... الكل يحبها (يصمت فجأة ويُطرق).

كليوباترا: لماذا سكتّ فجأةً؟!

المؤرخ (يرفع رأسه): لا ... لا شيء ... ماذا كنت أقول؟

كليوباترا: كنت تسألني: هل أحب الحياة؟ ... يا له من سؤال غريب! ... لم أكن أتوقعه بحال ... ما الذي أوحى إليك به الآن؟!

المؤرخ (كالمخاطب نفسه): الحياة! ... لو قيل لك إن الحياة ستُسلَب منك قريبًا ... سلبوها منك ... وتعرفين مَن الذي يسلبها منك ... تعرفينه جيدًا!

كليوباترا: مَن هو؟ لا تُخفِني!

المؤرخ: إذا عرفت أنك ستموتين ... ستموتين قريبًا!

كليوباترا (مرتعدة وهي تتأمل نظراته الغريبة): أرجوك ... إنك تخيفني!

المؤرخ: اهدئي!

كليوباترا: لا، لن أموت ... إني أعرف أني سأعيش طويلًا.

المؤرخ: كيف عرفت؟

كليوباترا: كفّي تقول ذلك ... انظر ... ها هو خط الحياة الطويلة ... إني أجيد قراءة الكف ... علمتني امرأة غجرية كانت تعمل في الملهى منذ عامين.

المؤرخ: تقرئين الكف!

كليوباترا: نعم ... هات كفّك أقرأها لك!

المؤرخ: لا لزوم ... إني أعرف مصيري.

كليوباترا: أعطني كفك، قلت لك ... سأصارحك بكل شيء ... ثِقْ بذلك!

المؤرخ (يمد كفه): خُذي واقرئي كما تريدين!

كليوباترا (تمسك بكفه وتطالعها): إنك لست سعيداً.

المؤرخ: بالطبع!

كليوباترا: هناك سحابات حزن في ماضيك.

المؤرخ: حقيقة.

كليوباترا: أنت دائماً ميسور الحال.

المؤرخ: واضح.

كليوباترا: خط الحياة ...

المؤرخ: نعم ... حدثيني من فضلك عن خط الحياة!

كليوباترا: خط حياتك طويل ... ستعيش.

المؤرخ: كم شهراً؟!

كليوباترا: عشرين عاماً على الأقل.

المؤرخ (يسحب يده في الحال): كفاية! ... أشكرك!

كليوباترا: لم تصدقني! ... هات لأُريك الخط بعينَيك ... سأريك طوله ... وستعرف أنك ستعيش إلى السبعين أو الثمانين!

المؤرخ: مصدقك ... ومعترف بعلمك الأكيد ... أنتِ وأستاذتك الغجرية!

كليوباترا: لا يبدو عليك التصديق ... أنت حر! ... أنت رجل متشائم ... وجاد أكثر مما ينبغي ... لقد عرفت رجالاً أكبر منك سنّاً، تفيض نفوسهم بالمرح.

المؤرخ: كنت أحب المرح أنا أيضاً.

كليوباترا: وما الذي جرى؟

المؤرخ: لا أريد أن أقول لك الآن ما الذي جرى ... هذا خارج عن موضوعنا الآن ... نحن في حياتك أنت.

كليوباترا (تعود إلى القلق): حياتي أنا؟!

المؤرخ: أرى على وجهك القلق والخوف من جديد!

كليوباترا: ما الذي تريده من حياتي يا سيدي؟!

المؤرخ: أريد أن أضع فيها ...

كليوباترا: ماذا؟

المؤرخ (بهدوء): قنبلة!

كليوباترا (منتفضة): ماذا تقول؟!

المؤرخ: ناوليني حقيبة يدك.

كليوباترا: ماذا تصنع بها؟

المؤرخ: سأضع فيها شيئًا.

كليوباترا (في صيحة): لا ... لا!

المؤرخ: لماذا ترتاعين هكذا؟ ... ما الذي يخيفك مني؟! ... أيبدو على وجهي ما يُرعبك؟!

كليوباترا: لا، ولكن ...

المؤرخ (يمد يده إليها): هاتي الحقيبة ... (يأخذ الحقيبة منها برفق وهي كالمستسلمة، ويُخرج من جيبه غلافًا يدسُّه فيها، ثم يرد الحقيبة إليها) والآن لا تفتحيها إلا بعيدًا من هنا!

كليوباترا (ثائبةً إلى رشدها): ماذا وضعت فيها؟!

المؤرخ: ستعرفين ذلك فيما بعد.

كليوباترا (تُبعد عنها الحقيبة في خوف): لا ... لا!

المؤرخ: ماذا تظنين أني وضعت فيها؟

كليوباترا (بقلق): لا أدري.

المؤرخ: افتحيها إذن الآن لتعرفي.

كليوباترا: افتحها أنت!

المؤرخ: وهو كذلك ... (يتناول الحقيبة ويخرج الغلاف) هذا لك ... فُضِّي الظرف!

كليوباترا: فُضّه أنت!

المؤرخ: ما كل هذا الارتياب؟! ... فليكن! ... ها أنا ذا أفُضّه (يفضّ الظرف ويُخرج منه ورقة مطوية ينشرها ويقدمها إليها).

كليوباترا: ما هذا؟

المؤرخ: صورة لوثيقة رسمية ... تهمك.

كليوباترا: تهمني ... أنا؟!

المؤرخ: خُذي واقرئي!

كليوباترا (تتناول الورقة وتُلقي عليها نظرة سريعة): ما معنى هذا؟ ... لست أفهم شيئًا.

المؤرخ: اقرئيها جيدًا!

كليوباترا (تقرأ على مهل): «أنا الموقّع على هذا ... أوصي بما أملك ... وبما تدرُّه ...» (تلتفت إليه) هذه وصية ... أليس كذلك؟ ... وصيتك؟!

المؤرخ: نعم، اقرئي إلى النهاية.

كليوباترا (تقرأ في صمتٍ لحظةً ثم تصيح): اسمي؟! ... هذا اسمي؟! توصي إليّ أنا بما تملك؟!

المؤرخ: نعم.

كليوباترا (متأثرةً مأخوذةً): إني يا سيدي ...

المؤرخ: لا داعي للتأثر ولا للشكر.

كليوباترا: يا سيدي إني ... لا أدري ماذا أقول!

المؤرخ: لا تقولي شيئًا!

كليوباترا: لكن يا سيدي ... لماذا تفعل ذلك؟! العلاقة بيننا — كما تقول — لم تصل إلى حد ...

المؤرخ: إلى حد العناق ... هذا ما قلته.

كليوباترا: وتصل مع ذلك إلى حد أن توصي إليّ بثروتك؟!

المؤرخ: يُدهشك هذا؟! إني أرى هذا طبيعيًا.

كليوباترا: أما أنا فلا أراه طبيعيًا على الإطلاق ... اسمح لي يا سيدي ... إني لا أفهم ... إني لا أفهمك!

المؤرخ: ليس من الضروري أن تفهمي، ولا أن يفهم أحدنا الآخر في زماننا هذا ... هناك أشياء لا نفهمها، ومع ذلك تحدث، وتؤثر في مصيرنا!

كليوباترا: لكن ... أليس لك ورثة؟

المؤرخ: لا.

كليوباترا: أليس لك أهل؟

المؤرخ: ماتوا كلهم ... كان لي ابن وحيد ... طيار قُتل في الحرب ولم يُجاوِز الثالثة والعشرين ... وكانت لي زوجة مُخلِصة وفيّة ماتت حزنًا على هذا الابن!

كليوباترا: أنت وحدك إذن في هذه الدنيا!

المؤرخ: نعم.

كليوباترا: ليس هذا، على كل حال، سببًا كافيًا لأن توصي إليّ أنا بما تملك ... لا بد من وجود سبب معقول.

المؤرخ: ابحثي أنت لنفسك عن السبب الذي يروقك!

كليوباترا (تفكر): ما هو؟ ... الحب؟

المؤرخ: مثلًا.

كليوباترا: لا ... لا أظن.

المؤرخ: ولماذا تستبعدينه؟

كليوباترا: لا ... ليس الحب قطعًا ... قد يسرُّك رقصي، وقد تسلِّيك تمضية الوقت في الحديث معي، ولكن ليس هذا هو الحب.

المؤرخ: تقصدين أن شخصك لا يهمني؟

كليوباترا (ساخرة): شخصي؟! إذا أهمَّك شخصي يا سيدي فبقدر محدود بالطبع!

المؤرخ: إن لم يكن شخصك فعلى الأقل اسمك!

كليوباترا: اسمي؟!

المؤرخ: اسم «كليوباترا» ... إنه قد عاش معي طول حياتي! لقد أرّقني الليالي تحت مصابيح الدرس، وشرّدني في بلاد العالم بحثًا عن الوثائق، وكلّل هامتي بالنصر يوم أذعت معلوماتي، ودرّ عليّ ربحًا كوّن لي الثروة بعد أن نشرت كتابي ... إن المال الذي جاءني من كليوباترا يجب أن أتركه بعد موتي لكليوباترا! ... ألا تجدين هذا سببًا كافيًا؟!

كليوباترا: ربما ... ولكنه تصرُّف لا يحدث من كل الناس!

المؤرخ: لأن ظروفي تختلف عن ظروف كل الناس.

كليوباترا (ساخرة): كليوباترا، كليوباترا ... إن هذا مُضحك!

المؤرخ: ما الذي يُضحكك؟ ... المقارنة؟!

كليوباترا: لا أعرف شيئًا كثيرًا عن كليوباترا تلك ... شاهدتها فقط في فيلم سينما ... ملكة عظيمة فوق عرش، تحت قدميها رجال عظام! ... امرأة رائعة! ... الممثلة بالطبع ... ثيابها كانت غريبة! ... ذلك الجو كله كان غريبًا ... العصر والناس والمعابد والكهنة والقوّاد والخناجر والثعابين ... والحب! ... ذلك القائد الكهل في أول القصة ... من هو؟ ... نسيت اسمه.

المؤرخ: يوليوس قيصر.

كليوباترا: نعم، نعم ... ثم ذلك الحب العنيف الآخر ... مع ذلك الشاب ... أنطونيو ... هذا أذكر اسمه جيدًا ... كان جميلًا فاتنًا ... غريرًا بعض الشيء ... ثم انتهى كل ذلك بكارثة.

المؤرخ: تلخيص وافٍ!

كليوباترا: أتسخر؟! لك الحق ... هذا كل ما علق بذاكرتي ... لقد مضت سنوات على مشاهدتي لذلك الفيلم ... كنت في السادسة عشرة ... وكانوا قد بدءوا يعلّمونني الرقص ... كنت على الرغم مني أقلّد حركات الرقصات التي شاهدتها في قصر كليوباترا، فأطلقوا عليّ اسمها، وتخصّصت في هذه الرقصة التي أعرضها ... رقصة الثعبان.

المؤرخ: إذن حياتك أنت أيضًا مرتبطة بكليوباترا ... مثلي تمامًا.

كليوباترا: مثلك تمامًا؟!

المؤرخ: ما الفرق؟ ... أنا أعرض حركات حياتها ... وأنت تعرضين حركات جسدها!

كليوباترا: لا تهزأ بي، من فضلك!

المؤرخ: إني جاد ... موضوع عملنا واحد: هو تلك المرأة! ... وما قمت به أنا وغيري من المؤرخين من عرض تاريخها مشكوك في صحته ... أما ما تقومين به أنت وغيرك من الراقصات من عرض جسدها، فمن الذي يستطيع له تكذيبًا؟!

كليوباترا: تقصد من هذا أني أكثر صدقًا؟

المؤرخ: مع الأسف الشديد! ... بالنسبة إليّ، وإلى كبريائي!

كليوباترا (مرتابة): إنك تُدهشني!

المؤرخ: لأني أبصِر الآن الأشياء عارية! ... والحقائق العارية تُدهِش وتَصدم، كالراقصة العارية!

كليوباترا: إن الجسد شيء زهيد.

المؤرخ: ولكنه صادق ... عندما أقول إن كليوباترا كانت تفكر هكذا، فهو محض استنتاج ... لكن عندما تحركين جسدك، فلا شك أنها حرّكته هكذا فعلًا في لحظة ما ... أنت إذن أوثق اتصالًا بها مني ... صلتك بها صلة مباشرة؛ لأكثر من سبب ... ليس الاسم وحده، الجنس أيضًا ... صفة الأنوثة المشتركة بينكما ... لكما عين قلب المرأة ... تقفان من الرجل والحب عين الموقف ... الحب بما فيه من مطامع ورغبات وتضحيات ... وجرائم أيضًا ... إنك كامرأة تفهمين كليوباترا أكثر مني ... في بعض النواحي على الأقل ... حياتها معك متحركة دائمًا في كيانك ... أما حياتها معي فراكدة في بطن كتاب! ... لذلك رأيتك أحق بالمال الناتج عنها ... هل اقتنعت الآن؟

كليوباترا: أحاول بصعوبة أن أقتنع.

المؤرخ: إني حرٌ في مالي على كل حال ... أوصي به إلى من أشاء ... كان يسرّني بالطبع أن أوصي به إلى كليوباترا الحقيقية، لو كانت على قيد الحياة، أو إلى أحد ورثتها لو أنني وجدته ... ولكني لم أجد غيرك!

كليوباترا (تتأمّله): إنك غريب الأطوار!

المؤرخ (كالمخاطب نفسه): عندي أسبابي!

كليوباترا (تنظر إلى الوصية في يدها): إذن ... أنا وارثتك!

المؤرخ: ولي الشرف!

كليوباترا (تنقل بصرها بين الوصية وبينه، وتفكر لحظة، ثم تصيح مُقهقِهة): إنك بارع! ... كان يجب أن أكتشف هذا من أول وهلة!

المؤرخ (محدقًا فيها): تكتشفين ماذا؟

كليوباترا: الدعابة التي وراء كل هذا!

المؤرخ: إنها ليست دعابة ... إنها حقيقة ... هذه صورة طبق الأصل من وصية حقيقية، أضعها في يدك عمدًا لتذهبي وتتحقّقي بنفسك أن الأصل سُجل تسجيلًا رسميًا.

كليوباترا: لست أقصد هذا ... أقصد القيمة الحقيقية لهذه الوصية.

المؤرخ: قيمتها نحو عشرين ألف جنيه ... رصيدي في البنك علاوةً على الربح السنوي الذي تدرّه حقوق طبعات كتابي في أنحاء العالم ... واقرئي عندك الأرقام والتفصيلات جيدًا.

كليوباترا: لست أقصد هذا أيضًا ... إنما أقصد قيمة هذه الوصية بالنسبة إليّ ... بل بالنسبة إليك أنت كذلك ... أنت لست بالرجل المنتهي الذي ختم حياته.

المؤرخ: كيف علمت؟!

كليوباترا: هذا واضح ... كم تبلغ من العمر؟ ... خمسة وأربعين؟ ستة وأربعين؟

المؤرخ: بلغت من العمر التاسعة والأربعين وبضعة أشهر ... أي أكثر من ضعف عمرك ... أليس كذلك؟!

كليوباترا: مهما يكن ... في التاسعة والأربعين لم تزل أمامك فرصة لتتزوج مرة أخرى ... وتُنجب أطفالًا وتُغير الوصية!

المؤرخ: هذا احتمال ضعيف!

كليوباترا: بالعكس ... هذا محتمل الوقوع بين يوم وآخر.

المؤرخ: أؤكد لك أن هذا لن يقع.

كليوباترا: كيف تستطيع أن تؤكد؟

المؤرخ: عندي أسبابي!

كليوباترا: ليس لي أن أسألك عن أسبابك ... من حقك أن تخفي عني شئونك الخاصة، ولكن من حقي أن أرى الشيء الواضح، وهو أنك وضعت لي المال في مكان بعيد جدًا ... كمن يضع الطُعم للسمكة خارج الماء! ... عندما أصل إليه تكون حياتي قد مضت، أو على الأقل شبابي!

المؤرخ: غلطتك هي أنك تُقدِّرين لي حياة طويلة!

كليوباترا: الحياة المعقولة لمن في سنك! ... عشرين سنة أخرى ... أليس هذا عاديًا؟!

المؤرخ: نعم ... طبقًا لعلمك الأكيد في الكف!

كليوباترا: بل أيضًا طبقًا لسير الحياة الطبيعي ... ألا تجد من الطبيعي أن تعيش حتى الخامسة والستين على الأقل؟!

المؤرخ (باسمًا): هذا كثير! ... اللياقة تمنعني من أن أجعلك تنتظرين حتى هذه السن!

كليوباترا: قد أنتظر أكثر من ذلك!

المؤرخ: لو كنت في مكانك لما فكّرت في الانتظار!

كليوباترا (ناظرة إليه): ماذا تعني؟!

المؤرخ: غلطتك مرة أخرى أنك تنظرين إلى سير الحياة الطبيعي ... إن الحياة لا تسير سيرًا طبيعيًا بالنسبة إلى كل الناس! ... ألم تسمعي بمن قُتلوا في الحروب ... على الأقل؟!

كليوباترا: نعم، ولكنك أنت اجتزت الحروب في سلام!

المؤرخ (مطرِقًا): آه ... حقًا!

كليوباترا: ولم تعُد في سن الجندية ... فأنت بعيد عن كل خطر مُحتمل ... من هذه الناحية ... أظن أن هذا مؤكد!

المؤرخ (ساخرًا)**:** مؤكد! ... بعيد عن كل خطر مُحتمل! ... في أي عصر تعيشين أيتها الغادة الحسناء؟! ... أتتصوّرين نفسك في عصر كليوباترا الحقيقية؟! عصر الخناجر والدروع؟! أنت تعيشين، يا سيدتي، في عصر القنابل والإشعاع الذري! ... أتعرفين ما هو الإشعاع الذري؟!

كليوباترا: سمعت عن شيء كهذا!

المؤرخ: هل سمعت أنه شيء فظيع؟! ... وأني أنا وأنت وكل إنسان وكل طفل وكل حيوان يمكن أن يصيبه موت مروِّع، دون أن يكون في منطقة قتال؟!

كليوباترا: وما دخل هذا فيما نحن فيه؟!

المؤرخ: ألا يُحتمل أن أجد نفسي، بمحض المصادفة، في منطقة إشعاع ذري، فأُصاب بمرض قاتل لا يُمهِلني بضعة أشهر؟!

كليوباترا: لا تفترض فروضًا لن تحدث!

المؤرخ: آه مع الأسف! إنك لست وحدك التي ترقص على حافة الدمار وهي تهز الكتفين!

كليوباترا: حافة الدمار؟!

المؤرخ: نعم ... والدنيا كلها اليوم قد انقلبت إلى راقصة!

كليوباترا: اسمح لي ... كلامك غير مفهوم.

المؤرخ: لأنه ما من أحد من الناس يريد أن يفهم، وعندما يبدءون الفهم يكون الوقت قد فات.

كليوباترا (تنظر في ساعة يدها)**:** حقًا ... الوقت يفوت بسرعة ... ويحسن أن أنصرف ... (تنهض وتمد يدها إليه بالوصية) ألِهذا إذن دعوتني؟! هنا؟!

المؤرخ: نعم، احفظيها معك!

كليوباترا (ساخرة)**:** سأضعها داخل إطار، وأعلِّقها على حائط حجرتي!

المؤرخ: إلى جانب النتيجة الشهرية من فضلك!

كليوباترا: ليس عندي نتيجة شهرية ... إني لا أهتم إلا بأعياد الميلاد ... سأحتفل بعيد ميلادك كل عام ... ثِقْ بذلك!

المؤرخ: عام؟! لن تنتظري عامًا ... عيد ميلادي القادم يقع بعد ثلاثة أشهر!

كليوباترا: هذا من حُسن الحظ!

المؤرخ: بالطبع ... اسمعي! ستُطلعين أنطونيو عليها بدون شك؟! وربما أمكِ أيضًا؟!

كليوباترا (ناظرة إلى الورقة في يدها): هذه الوصية؟!

المؤرخ: قد يكون لهما رأي.

كليوباترا (وهي تدسُّها في حقيبتها): إني شاكرة على كل حال ... إنها عواطف كريمة منك بدون شك ... إلى اللقاء! ستأتي الليلة طبعًا إلى الملهى كالمعتاد؟

المؤرخ: سأجتهد.

(يُشيِّعها إلى الباب، ثم يعود إلى جهاز التسجيل بعد خروجها مباشرةً.)

المؤرخ (في جهاز التسجيل): أسمعتم؟ ... هذه هي الخطوة الأولى ... ذهبت بالوصية كما رأيتم، في شبه استخفاف ... ولكني أتصور ما سيحدث بعد ذلك ... ستُطلع حبيبها وأمها عليها ... سيحسبانها دعابة في أول الأمر ... هما أيضًا ... هذا طبيعي، ولكن سيخطر لهما بعد ذلك أن يتثبّتا ... وعند التثبُّت من صحة الوصية، سيبدأ التفكير الجدّي بطيئًا في مبدأ الأمر ... ثم يُسرع وينمو ... خصوصًا في رأس الحبيب لاعب الخناجر، والأم البدينة امرأة الأعمال الشرِهة ... وتبدأ الأسئلة: لماذا الانتظار؟ كيف التخلص من هذا الموصِي المُغفل؟ وما هي الوسائل المؤدية، دون ظهور آثار الجريمة؟ ... والمبادرة بالتنفيذ ستكون مُهمة؛ خوفًا من تغيير الوصية ... هكذا سيعملون على قتلي ... وهكذا أتخلّص أنا من عذاب موتة شنيعة عندما تشتد وطأة هذا المرض القاتل ... إن الموت على أيديهم هم سيكون سريعًا خفيًا مفاجئًا لن أشعر به ... إنهم أرحم — على كل حال — من القتلة الآخرين الذين أصابوني بالإشعاع الذري! ... ومع ذلك، فأي مفاجأة أُعدُّها لهم أنا بدوري؟! ... يوم يُحكم عليهم بالإعدام أو تُدمّر حياتهم، ثم تنكشف لهم الحقيقة، وهي أني كنت سأموت من تلقاء نفسي، بمرضي، بعد أشهر، وتصير إليهم ثروتي، دون حاجة إلى ارتكاب جريمة قضت على مصيرهم ولم يقبضوا شيئًا! ولكنها المطامع ... عندهم كما هي عند أولئك الذين يُفجِّرون تلك الإشعاعات ... مطامع ورغبات ومخاوف، مُعلّقة بزناد ... عندما ينطلق يحدث الدمار الشامل، ولن يقبض أحد شيئًا! ... نعم، لن يقبض أحد شيئًا ... لن يقبض أحد شيئًا!

(يضحك ضحكًا هستيريًا وهو يُغلِق جهاز التسجيل.)

الفصل الثاني

(المؤرخ في عين الصالون بفندقه، وهو يسير بخُطًى بطيئة جيئةً وذهابًا، يجمع أفكاره ويُرتّبها في ذهنه ... ثم فجأةً يتجه إلى جهاز التسجيل ويفتحه ويُديره.)

المؤرخ (في جهاز التسجيل): هل أنا مخطئ؟ ... أمَا كان يجدر بي أن أُنفق أيامي الباقية في عملٍ أنفع من التفكير في الموت والجريمة؟! ... كنت قبل أن أُصاب بالإشعاع الذري أعمل في بحث تاريخي حول تلك الآراء التي يقول بها اليوم طائفة من زملائي المؤرخين: أن كليوباترا لم تعرف الحب ... كان مدار بحثي هو: هل كانت السياسة عند كليوباترا تتبع الحب، أو أن الحب عندها هو الذي يتبع السياسة؟ ما الذي كان عندها يقود الآخر: السياسة أو القلب؟ لكن ما هو القلب؟ وما هي السياسة؟! ... إننا عندما نتحدث عن حب امرأة وكرهها ومطامعها ونزواتها ورغباتها، نسمي ذلك عواطف قلب! ... وعندما نتحدث عن حُبّ دولة وعداوتها ومطامعها ونزواتها ورغباتها، نسمي ذلك سياسة! ... يبدو أن كليوباترا مزجت بين الاثنَين، واختلط عليها الأمر، وعلينا أيضًا نحن المؤرخين، وعندما انتحرت لم ندرك، وربما لم تُدرِك هي أيضًا، أكان ذلك للحب أم للسياسة؟ ... وعندما انتحرت، انتحرت معها دولتها في نفسِ الوقت! ... ولكن انتحار دولةٍ في العصور القديمة أمرٌ بسيط جدًا ... إنه أشبه بقرص مُنوِّم تتبعه يقظة. أما في عصرنا الحاضر، فالعالم كله هو الذي ينتحر، ولا احتمال ليقظة أخرى! ... هذا ما يصرفني عن التفكير في عمل نافع ... نافع لِمَن؟ ... لِمَن؟ ... لِمَن؟ ... إن ما أصابني لم يُدَمّر فقط الخلايا التي في جسمي، بل دمّر أيضًا الحب الذي في قَلبي ... إني أعترف هنا ... أعترف أن ما أشعر به الآن هو الكره ... هو الرغبة في التدمير.

(جرس الباب يدق.)

المؤرخ (قبل أن يتجه إلى الباب): جاءت كليوباترا ... إني تغيّبت عامدًا عن الملهى أسبوعًا لأُتيح لهم فرصة التحقق والتدبير والتآمر ... سنرى الآن: هل لمسوا الزناد الذي سيفجّر حياتهم؟! سأترك الجهاز دائرًا لتتابعوا ما سيحدث ... أنتم يا من سأترك لهم هذه المذكرات والخواطر والاعترافات المسجلة.

(يذهب إلى الباب ويفتحه، وتدخل عندئذٍ كليوباترا الراقصة تحمل حقيبة ملابس صغيرة خفيفة.)

كليوباترا: أين كنت طول هذه المدة؟!

المؤرخ: متغيباً.

كليوباترا: سألت عنك هنا بالتليفون مراراً، فقيل لي إنك غير موجود! ... اليوم فقط أمكنني الاتصال بك!

المؤرخ (مُشيراً إلى المقعد بقرب الجهاز): استريحي! ... هنا ... هنا.

كليوباترا (وهي تجلس وتضع الحقيبة بجوارها): وأنت؟ ... ألم يخطر ببالك أن تسأل عني ... مجرد سؤال بالتليفون؟!

المؤرخ: خطر لي طبعاً ولكني ... شُغِلت.

كليوباترا: لا بد أنه أمر هام ذلك الذي يمكن أن يشغلك عن وارثتك!

المؤرخ: وارثتي ... تحققتِ الآن من ذلك؟

كليوباترا: إني لم أشُك لحظة.

المؤرخ (ناظراً إلى الحقيبة): ماذا في هذه الحقيبة؟!

كليوباترا: مفاجأة.

المؤرخ: ما من شيء الآن يمكن أن يُفاجئني.

كليوباترا (باسمة): تريد أن تقول إنك تعرف ماذا فيها؟

المؤرخ (ناظراً إلى شكل الحقيبة): إنها مما يُوضَع في داخله ملابس خفيفة ... هذا من حيث الظاهر ... على الأقل!

كليوباترا: أي نوع من الملابس؟!

المؤرخ: إني لست مُنجِّماً ... ولا أقرأ الكف! ... ومع ذلك أخبريني صراحةً: هل تنوين المبيت هنا الليلة؟!

كليوباترا (وقد بُوغتت): آه ... لا، لا ... إنك فهمت الأمر على وضع آخر!

المؤرخ: أحسنتِ صنعاً!

كليوباترا: ثق أني أفهم جيداً، وأعرف أنك لا تحب وجودي وحديثي إلا في حدود مُعيّنة ... إني أعرف بالضبط أي نوع من الرجال أنت!

المؤرخ: ليس إذن في الحقيبة ملابس مِن ... ذلك النوع!

كليوباترا: فيها ثوب لي طبعاً ... ولكنه ثوب العمل!

المؤرخ: ثوب رقصك؟

كليوباترا: ها أنت قد عرفت ... والمفاجأة هي أني أريد أن أُجري أمامك تجربة لحركة جديدة خطرت لي في رقصتي المعروفة، قبل أن أعرضها على الجمهور ... هل تسمح؟

المؤرخ: بالطبع ... هذا شرف كبير، ولكن ...

كليوباترا: ستقول لي إنك لست من أهل الاختصاص!

المؤرخ: حقًا! ... معلوماتي لم تصل إلى هذا الحد! ... إني مؤرخ فقط بكل أسف وكل تواضع! ... وعلاقتي بكليوباترا القديمة لا تؤهلني للحكم على رقص كليوباترا المعاصرة.

كليوباترا: إني أطلب منك مجرد رأي!

المؤرخ: بصفتي مؤرخًا؟!

كليوباترا: بصفتك متفرجًا!

المؤرخ: وما قيمة رأيي كمتفرج؟ ... أي شخص في الملهى أو في الطريق يُفيدك أكثر مني ... ألم تأخذي رأي أنطونيو؟ ورأي أمك صاحبة الملهى؟ ورأي العازفين؟ ورأي المعارف الأقدمين؟ ... لديك مائة شخص تستشيرينهم في رقصك، قبل أن يتجه تفكيرك إليّ أنا.

كليوباترا: ولكنه اتجه إليك أنت ... هل ترفض الرقص؟

المؤرخ: أمرك ... ارقصي كما تشائين!

كليوباترا: تسمح لي بقاعة الحمام لحظة، أُغيِّر ثيابي؟!

المؤرخ: تفضّلي.

كليوباترا (تنهض وتحمل الحقيبة)**:** لن أغيب عنك أكثر من دقيقة!

المؤرخ (يتقدم ويحمل الحقيبة عنها)**:** عن إذنك، أليس في داخل هذه الحقيبة غير ثوب الرقص؟!

كليوباترا: وماذا تظن بداخلها؟!

المؤرخ: إذن ما الداعي إلى حملها حتى الحمام؟! ... من الأسهل أن تُخرِجي الثوب هنا وتذهبي به.

كليوباترا: أُفضِّل أن أذهب بالحقيبة نفسها.

المؤرخ (مرتابًا)**:** لماذا؟

كليوباترا: لست أدري، ولكن ...

المؤرخ: ما دمتِ لا تدرين لذلك سببًا، فلنفتح الحقيبة هنا ونُخرِج الثوب ... هل هي مُغلقة بالمفتاح؟

كليوباترا: نعم، ولكن ...

المؤرخ: هاتي المفتاح وأنا أُخرِج الثوب لك.

كليوباترا (مُتردِّدة): ولماذا أُحمِّلك هذه المشقة؟

المؤرخ: يسرني أن أتحمل هذه المشقة من أجلك!

كليوباترا: ما كل هذه العواطف الآن؟!

المؤرخ: لست مُجرّدًا من الذوق في كل الأحيان!

كليوباترا: حقًا ... في أكثر الأحيان أراك لا تهتم بهذه التوافه ... بل إن مجرد تقديم سيجارة، قلّما تهتم به قبل أن أطلبها أنا بنفسي!

المؤرخ (يضع الحقيبة ويُخرج علبة السجاير): معذرةً! ... إن هذا من قبيل السهو لا غير.

كليوباترا (تتناول سيجارة): شكرًا!

المؤرخ (وهو يشعل لها سيجارتها): هل لكِ في شراب؟

كليوباترا: فيما بعد.

المؤرخ: ذكّريني في الوقت المناسب ... بل اطلبي بنفسك، واجعلي كأن البيت بيتك ... إني — كما تلاحظين — لست حاضر البديهة ... هناك أشياء كثيرة في الحياة تفوتني.

كليوباترا: وهناك أيضًا أشياء كثيرة تُرَكِّز عليها اهتمامًا غريبًا.

المؤرخ: مثل ...؟

كليوباترا: سأعطيك مثلًا بعد قليل ... بالطبع أغلب العلماء والأساتذة يعيشون مُستغرقين في تفكيرهم، فلا يلتفتون إلى أشياء كثيرة مما يجري حولهم ... أعرف ذلك ... وسأحدثك بما ألاحظه عليك في هذا الشأن ... أما الآن فيحسُن أن أُغيِّر ثوبي أولًا ... تسمح؟

(تتناول الحقيبة لتذهب بها.)

المؤرخ (يأخذ منها الحقيبة): أرجوك! ... ألم نتفق على أن أتولّى أنا ذلك عنك؟!

كليوباترا: عجبًا! ... ألا تزال مُصرًّا؟!

المؤرخ: بالطبع ... أعطيني المفتاح!

كليوباترا: ها هو المثَل! ... اهتمامك الغريب بأن تفتح هذه الحقيبة بنفسك!

المؤرخ (مُرتبِكًا قليلًا)**:** لا ... ليس الاهتمام، ولكن ...

كليوباترا: ولكن ماذا؟ ... الذوق؟ اللياقة؟ المجاملة؟

المؤرخ: بدون شك.

كليوباترا: ألف شكر على هذا الذوق واللياقة والمجاملة، ولكني أُفضّل دائمًا أن أحمل حقيبتي بنفسي، وأفتحها بنفسي، وأرتدي ثوبي بنفسي، هناك في الحمام عَلى انفراد ... هل يسوءك ذلك؟!

المؤرخ: لا بالطبع.

كليوباترا (تأخذ الحقيبة وتذهب)**:** إلى اللقاء إذن بعد لحظة ... أعود إليك في ثوب كليوباترا القديمة! ... تسمح؟

المؤرخ: تفضلي! ... قاعة الحمام من هنا.

(يُشير لها إلى مكان الحمام، ثم يقف لحظة يُراقبها حتى يتأكد له أنها بعيدة عنه تمامًا، وعندئذٍ يعود إلى قُرب الجهاز.)

المؤرخ (في جهاز التسجيل)**:** إنها لا تريد أن أفتح الحقيبة بنفسي ... لاحَظتم ذلك طبعًا ... لا تريد أن أرى ما فيها ... وقد تحايلتْ لتمنعني من ذلك ... توافقون معي إذن على أن بداخل الحقيبة شيئًا تخفيه ... شيئًا غير ثوب الرقص ... شيئًا خطرًا ... آلة من آلات الهلاك ... شيئًا يُحدث الموت على كل حال ... ما هو؟ ... لا أستطيع أن أعرف بعد ... ولا أحسبكم تستطيعون أنَ تُخمّنوا ... ولكنكم تريدون أن تعرفوا عَلى سبيل اليقين حتى يكون كل شيء واضحًا ... هذا ما يَنبغي أن نصل إليه معًا ... أسمع صوتًا ... إنها عائدة.

(يسكت عن الكلام ... وعندئذٍ تظهر كليوباترا بثوبها العادي دون أن تُغيِّره.)

المؤرخ (ناظرًا إليها)**:** عجبًا! ... لماذا لم تلبسي ثوب الرقص؟

كليوباترا: كيف تريد أن أرقص بغير موسيقى؟!

المؤرخ: أما كنت تعرفين ذلك من قبل حضورك؟!

كليوباترا: حقًا ... لست أدري ما الذي جعلني أسهو عن ذلك!

المؤرخ: أغلب الظن أنك لم تحضري لحكاية الرقص هذه!

كليوباترا: ما الذي يجعلك تظن هذا؟!

المؤرخ: هذا واضح الآن.

كليوباترا: ولماذا جئت إذن بحقيبتي؟!

المؤرخ: الحقيبة؟! آه هذا سؤال تُجيبين عنه أنت!

كليوباترا: أنت تعرف الجواب بالطبع.

المؤرخ: جئتِ لترقصي، ودخلت قاعة الحمام بالحقيبة، ومكثت وقتًا، ثم عُدتِ تقولين إنك لن ترقصي ... أليس هذا ما حدث؟!

كليوباترا: نعم ... مع الأسف ... كان يجب أن أفطن إلى هذا!

المؤرخ: إني مُعجَب بذاكرتك!

كليوباترا: أتَمزَح؟!

المؤرخ: تَنسَين الموسيقى ... وتتذكرين ثوب الرقص!

كليوباترا: حقًا ... أليس هذا غريبًا؟!

المؤرخ: من يدري؟! ... ربما كان هذا طبيعيًا! ... إن ثوب الرقص يحتاج إلى حقيبة! ... وأنت لا بد لكِ من حقيبة.

كليوباترا (تُحدِّق فيه): لا بد لي من حقيبة؟!

المؤرخ (مُتداركًا): أقصد ... لتظهري بمظهر من يتكلّف مشقة من أجل الفن ... أليس كذلك؟

كليوباترا: ليس في الأمر مشقة على الإطلاق!

المؤرخ: والآن ... انتهت المهمة؟!

كليوباترا: أي مهمة؟!

المؤرخ: التي جئتِ من أجلها؟!

كليوباترا: جئت — كما تعلم — من أجل الرقصة ... لكن ماذا نستطيع الآن؟

المؤرخ: حقًا ... لا ضرورة بعد الآن.

كليوباترا: لو وجدنا موسيقى ... أي نوع من الموسيقى يمكن أن يُناسب الحركة؟ ... انتظر ... هل عندك راديو؟

المؤرخ: يوجد هنا راديو الفندق أمامك فوق المدفأة!

كليوباترا (تُسرع إليه وتُديره فتنبعث منه موسيقى): لا بأس! ... المهم أن أرقص على موسيقى ... لأضع نفسي في الجو ... هذا يكفي ... لحظة واحدة! سأعود بعد لحظة.

(تخرج مُسرعة إلى قاعة الحمام.)

المؤرخ (مُتّجهًا إلى جهاز التسجيل بعد أن يُخفت موسيقى الراديو): لم أعرف بعد ... هل عرفتم أنتم؟ ... إنها لا شك بارعة! ... يجب طبعًا أن نتوقع منها كل براعة ... ويجب من جهتي أن أكون حذرًا حتى لا أُثير شكوكها ... يُدهشني كيف ترقص على هذه الموسيقى رقصة فرعونية؟! ... ولماذا لم تعرض عليّ رقصتها هذه في الملهى؟ ... أو في أي مكان آخر على انفراد كما تريد؟! ... كان يجب أن أُلقي عليها هذا السؤال ... وإن كنت أعلم مقدمًا أنها لن تعجز عن إيجاد الجواب المُناسب! ... برغم كل شيء ... أمامنا حقيقة ملموسة: وهي أنها تعمّدت أن تأتي هنا بهذه الحقيبة، مُتذرّعةً بهذه الحجة! إنها آتية.

(يسكت في الحال.)

كليوباترا (تظهر بثوب رقص فرعوني وفي يدها عُلبة): إني بدون مكياج!

المؤرخ: هذا أروع!

كليوباترا: هل أبدأ؟

المؤرخ: تفضّلي.

كليوباترا: دعني أشرح لك أولًا المقصود من الحركة الجديدة ... إنها اللحظة الأخيرة، عندما تضع كليوباترا الثعبان على ثديها ... لقد شاهدتني أنت من قبل على المسرح أضع الثعبان هكذا.

(تَهمُّ بفتح العلبة التي في يدها.)

المؤرخ: جئتِ بالثعبان في هذه العُلبة؟

كليوباترا (تفطن وتُغلق العُلبة بسرعة وبشِدة صائحة): ليس هذا ... ليس هذا ... لحظة واحدة ... أرجوك (وتجريَ نحو الحمام).

المؤرخ (خلفها): ماذا حدث؟

كليوباترا (وهي تجري): لا شيء ... أخطأت العُلبة ... هذا مسحوق ... مسحوق البودرة! ... سأعود حالًا (تخرج).

المؤرخ (على العتبة): إنها تُغلِق خلفها باب الحمام! ... لماذا؟ ... لست أفهم بعد.

كليوباترا (تعود سريعًا بعُلبة أخرى مُماثلة في الحجم والشكل): هذا هو ثعباني ... انظر! ... (تفتح العُلبة وتُخرج ثعبانًا قصيرًا) كنت أضعه هكذا في رقصتي المُعتادة ... أليس كذلك (تُلصِق الثعبان بثديها)؟!

المؤرخ: ليس من النوع السام ... هذا؟

كليوباترا: بالطبع، ولكنه كثير الهرب.

المؤرخ: تَحبسينه في هذه العُلبة دائمًا؟

كليوباترا: نعم، أضعه في عُلب البودرة الفارغة.

المؤرخ: والعُلبة الأخرى التي جريتِ بها.

كليوباترا: لم تكن فارغة بالطبع.

المؤرخ: مفهوم ... كان بها ثعبان آخر من النوع.

كليوباترا (مُحملِقةً فيه)**:** ماذا تقول؟ ... العُلبة الأخرى كان بها مسحوق بودرة ... ألم أقل ذلك؟!

المؤرخ (في نظرة ارتياب)**:** حقًا ... حقًا ... قلت ذلك.

كليوباترا: والآن ... إليك فكرتي الجديدة: قبل أن أُلصق الثعبان بصدري سأمسك به هكذا بعيداً كأني أتأمله أو أُناجيه أو أستفسر منه أو أسأله الرحمة والرِّفق ... أليس هذا طبيعيًا؟!

المؤرخ: طبيعي جداً ... ولا شك عندي أن كليوباترا قد سألت وتحرّت وتحقّقت من لدغ الثعبان، وهل يُحدث ألماً، وهل يجلب الموت بعُنف أو برِفق، وإذا كانت قد اختارته — وهذا مؤكّد تاريخيًا — فلأنه أرحم ألوان الموت وأهونها ... وإلا لكانت اختارت أي صنف آخر من أصناف السُّم ... لقد جرّبت بالفعل أنواعاً عدة من السُّموم على العبيد والأرقّاء والمسجونين، كما يُقال، وكانت تشاهد بنفسها لحظات احتضارهم، وما يتعرضون له من آلام، فكان بدنها يقشعر، وتنفر مذعورةً، حتى شاهدت آخِر الأمر تجربة لدغ الثعبان تُجرَى على جارية لها، فأعجبتها الموتة!

كليوباترا: حقًا ... لقد وصفها لنا منذ أيام ذلك الحاوي الذي يورد لنا الثعابين في الملهى!

المؤرخ (بانتباه)**:** ماذا قال لكم منذ أيام ... ذلك الحاوي؟!

كليوباترا: قال إن لدغة الثعبان السام لا تُحدِث أثرًا.

المؤرخ: لا تُحدِث أثرًا؟! قال ذلك؟!

كليوباترا: وإن كل ما يحدث هو نوع من التخدير في أول الأمر ... تخدير مماثل لما يحدث عند استنشاق الغاز ... وإن الموت يأتي في هدوء كأنه إغفاءة بريئة.

المؤرخ (كالمخاطِب نفسه)**:** بريئة!

كليوباترا: ومُستحَبّة ... كالنوم الطاغي الذي يدهَمُنا ونَكسَل عن دفعه، فنترك أنفسنا له في استرخاء لطيف.

المؤرخ: لطيف!

كليوباترا: نعم، نعم.

المؤرخ: شكراً!

كليوباترا (في استغراب)**:** شكراً على ماذا؟

المؤرخ: على ... على هذه المعلومات المُطمئنة!

كليوباترا: لست أنا صاحبة هذه المعلومات ... إنه ذلك الحاوي ... تلك مهنته التي يعيش منها ... إنه حاذق جداً، وعلى علم واسع بكل أنواع الثعابين، وقد خدمنا حقاً.

المؤرخ: خدمكم؟!

كليوباترا: نعم، في رقصتي هذه ... في الحركة الجديدة ... كنت من قبل أرتمي على الأرض سريعاً لأُمثّل الموت ... أما الآن بعد هذا الوصف الذي سمعته منه ...

المؤرخ (مقاطعاً)**:** أهو الذي جاء من تلقاء نفسه منذ أيام، أم أنتم الذين دعوتموه؟!

كليوباترا: نحن الذين دعوناه.

المؤرخ: وما هي المُناسبة؟ ... لماذا في هذه الأيام بالذات؟

كليوباترا: لأن ثعباني هرب من العُلبة ... واحتجنا إلى ثعبان آخر؟!

المؤرخ: من النوع السام؟!

كليوباترا (مُصحّحة)**:** من النوع غير السام من فضلك!

المؤرخ: آه حقاً ... هذا قصدي!

كليوباترا: الآن رأيت أن أُغيّر الحركة الأخيرة على نحو آخر: أن أُغمِض العينَين، بعد لدغ الثعبان، لأُمثّل التخدير ... هكذا ... انظر!

المؤرخ: هل عرفتِ متى يبدأ التخدير؟ بعد اللدغ مباشرةً؟ أو بعد مُضي وقت؟

كليوباترا: لا أدري بالضبط ... وليس هذا بالأمر المُهم عندي.

المؤرخ: بالطبع ليس هذا مهماً عندك ... أنتِ!

كليوباترا: ما تتطلبه الرقصة ليس دقة الوقت، ولكن دقة التعبير ... يجب أن أُعبّر عن مراحل الموت، وأول مرحلة هي الشعور بالنوم، فتتخاذل الأجفان، وتتراخى الأعضاء ... هكذا ... انظر!

المؤرخ (وهو يتأملها مليًا)**:** إني أنظر.

كليوباترا: بعد ذلك تأتي مرحلة الحُلم ... إنه ليس حُلماً بالمعنى الحقيقي، ولكنه شيء يُشبه الحُلم الناعم عندما يُداعب رأس النائم ... إنه يتمثّل صُوراً غير واضحة ولكنها مُريحة ... وعندئذٍ نشاهد على وجهه تعبيراً يُشبه الابتسام ... هكذا ... انظر!

المؤرخ (ناظرًا إليها): ما أجمل هذا!

كليوباترا: إنه ليس ابتسامًا ... إنه فقط تعبير عن شعور الراحة ... عندما نرى أطفالًا ينامون نومهم العميق الملائكي، نقول إنهم يبتسمون في النوم لأنهم يَحلُمون حُلمًا جميلًا ... الواقع هم لا يَحلُمون، ولكنه إحساس النُعاس اللذيذ يرتسم على وجوههم.

المؤرخ (يتأمّلها): نُعاس لذيذ!

كليوباترا: لذلك لست أُريدها ابتسامة حقيقية؛ لأن هذا خطأ ... إنك لن تَبتسِم للموت؛ لأنك لن تَشعُر به ... إن الأطفال لا يبتسمون للنوم؛ لأنهم لا يَشعرون أنهم ينامون.

المؤرخ: لن أشعر بالموت؟!

كليوباترا: إذا لدغك ثعبان كما لدغ كليوباترا ... هذا رأيي ورأيك أنت أيضًا كما كنت تقول منذ قليل ... إن الموتة لا شك أعجبتها.

المؤرخ (كالمخاطِب نفسه): وتُعجبني أيضًا.

كليوباترا: لذلك يَحسُن تجنُّب أي تعبير يدل على الفزع.

المؤرخ: حتى وهي تشاهد الثعبان وهو يفتح فمه، ويُدلي بلسانه الرفيع الطويل!

كليوباترا: ربما في أول الأمر، وهي تنظر إليه في يدها ... قد تُصيبها قُشَعْريرة.

المؤرخ: هذا مُؤكّد!

كليوباترا: سأُمثّل ذلك في أول الحركة ... لا تَخش شيئًا!

المؤرخ: لست أخشى عليكِ ... بالطبع!

كليوباترا: إني دقيقة في هذه الأمور ... وألتفت إلى كل هذه التفصيلات بعناية ... وأحرص على أن يفهم المشاهد كل المراحل.

المؤرخ: حقًا ... لقد أفهَمتِني جيداً كل المراحل.

كليوباترا: لاحظ أنه ليس من السهولة أن أُعبّر عن إحساس الراحة بالوجه ... إني أستطيع ذلك بحركات الأعضاء ... أما بملامح الوجه ...

المؤرخ: هذا خارج عن موضوعنا الآن.

كليوباترا: بالعكس، من واجبي أن أنقل إليك كل المشاعر لتقتنع.

المؤرخ: إني مُقتنِع ... ثِقي بذلك كل الثقة.

كليوباترا: يجب مع ذلك أن أُحاول ... انظر هذا التعبير بالوجه ... وقُل لي هل يستطيع حقًا أن ينقل إليك ذلك الإحساس الذي أريده ... إحساس التراخي الحالم والطمأنينة المُريحة (تُعبّر بوجهها مُغمِضة عينَيها)؟

المؤرخ (وهو يتأمّلها): رائع!

كليوباترا: حقًا؟! أعجبك؟!

المؤرخ: جدًا.

كليوباترا: أرجو أن يكون الوجه قد عبّر أيضًا عن جمال الأبدية.

المؤرخ: جمال الأبدية؟!

كليوباترا: نعم، ألا ترى ذلك؟ ... إن الراحة الأخيرة ما هي إلا سِتار شفاف يبدو من خلفه جمال الأبدية لأصحاب النفوس المُضيئة.

المؤرخ: من قال لكِ ذلك؟

كليوباترا: أحد رجال الدين.

المؤرخ: وهل تُصدّقين هذا؟!

كليوباترا: ولمَ لا؟ ... وأنت ألا تُصدّق؟!

المؤرخ: النفوس المُضيئة ترى جمال الأبدية؟ ... وهل أنا، في نظرك، من أصحاب النفوس المُضيئة؟

كليوباترا: بالطبع.

المؤرخ: أشكرك!

كليوباترا: أرجو منك ألا تخدعني ... قُل لي صراحةً: هل استطعتُ حقًا أن أُعبِّر لك عن شعور الراحة المُتراخية والطمأنينة الحالمة؟

المؤرخ: وجمال الأبدية أيضًا!

كليوباترا: أنا نجحت إذن.

المؤرخ: نجاحًا باهرًا ... في أن تُصوِّري لي الموضوع بالضبط، في شَكل هَيِّن لَيِّن لطيف مقبول ... لقد أدّيتِ واجبك الفني ... ويستطيع ضميرك أن ينام مُستريحًا!

كليوباترا: هناك مع ذلك نُقطة هي أصعب ما في الأمر كله.

المؤرخ: أن كليوباترا الحقيقية لم تكن تُفكِّر في جمال الأبدية، أو تستشف شيئًا من هذا القبيل في ساعتها الأخيرة.

كليوباترا: لماذا؟

المؤرخ: لأن مشاعرها الدينية مشكوك فيها.

كليوباترا: لكنها كانت على الأقل ...

المؤرخ: ذات نفس مُضيئة؟! هذا أيضًا قد يُصادف من المؤرخين اعتراضات كثيرة! ... لقد قَتَلت أخاها الصغير بالسُّم، وهي لم تَزل في عَهد الصِّبا البريء الطاهر! ألا يكفي هذا وَحدَه لانطفاء أي ضوء من أي نفس؟!

كليوباترا: كثير من الصالحين بدءوا حياتهم بالخطيئة.

المؤرخ: تُدافعين عن جريمتها؟!

كليوباترا: إني أحمل اسمها ... لا تنس ذلك ... ومن الطبيعي أن أُدافع عنها ... إذا كانت أجرمت فقد يكون لديها أسبابها.

المؤرخ: الطمع ... أتَرينه سببًا كافيًا؟!

كليوباترا: ربما.

المؤرخ: إني معك ... إنه دائمًا السبب للإنسان! الطمع في السيطرة! ... أو في الحُكم كما كان عند كليوباترا الحقيقية ... أو الطمع في الثروة ... أو غير ذلك.

كليوباترا: إنك خرجت عن الموضوع ... ليست هنا النقطة التي قلتُ لك إنها أصعب ما في الأمر كله ... إني أقصد شيئًا في صميم الرقصة ... الحركة الأخيرة ... آخر ما يحدث.

المؤرخ: ما هو آخر ما يحدث؟

كليوباترا: عندما يستمر التخدير لحظةً، ويسري في الجسم كله ويبدأ الرأس في التمايُل والأعضاء في التثاقُل ... ماذا يحدث للثعبان؟

المؤرخ: الثعبان؟!

كليوباترا: لا يمكن أن يظل في يدي ... لا بد أن أتركه يسقط من اليد المتراخية ... أليس هذا طبيعيًا؟

المؤرخ: بدون شك.

كليوباترا: إذا تركته يسقط فهنا الكارثة! ... إنه سيسعى على الأرض، ويلفت النظر ... وربما أثار هَرْجًا بين الناس.

المؤرخ: حقًا ... وماذا تفعلين؟!

كليوباترا: لا بد أن نجد لهذا حلًا!

المؤرخ (كالمخاطب نفسه): إنها فعلًا مشكلة ... بعد أن يؤدي الثعبان مهمته، ما مصيره؟ ... إنه سيسقط على أرض المكان ... وهنا يبقى ويلفت النظر.

كليوباترا: إلا إذا استطاع التسلُّل من المكان قبل أن تقع عليه عين ... إنه سريع الهرب!

المؤرخ: الهرب إلى أين؟

كليوباترا: إلى الخارج ... إذا كانت هناك نوافذ أو أبواب مفتوحة.

المؤرخ (بصوت خافت): كل شيء مغلق عندي!

كليوباترا: ماذا تقول؟

المؤرخ: أقول إنه لن يهرب! ... سيبقى في نفس المكان، ويمكن ضبطه بعد أن يقوم بمهمته.

كليوباترا: هذا مجرد احتمال.

المؤرخ: جائز الحدوث.

كليوباترا: هناك احتمال آخر: أن يختفي ... في مكان ما ... ولا يلحظه أحد.

المؤرخ: جائز أيضًا.

كليوباترا: إنها على كل حال نقطة ضعف في الموضوع.

المؤرخ: ألم يتجه تفكيركم إلى هذا من قبل؟!

كليوباترا: لا ... كان يَحسُن التفكير في هذا فعلًا ... ولكننا نفكر دائمًا في الأهم، ونترك تفصيلًا صغيرًا قد يُفسد كل شيء.

المؤرخ: حقًا، التفصيل الصغير دائمًا يُفسِد كل شيء ... والحل؟!

كليوباترا (كالمخاطبة نفسها): نؤجل الموضوع حتى نجد حلًا.

المؤرخ: تؤجلين التنفيذ؟! فات الأوان فيما أعتقد ... ما دُمتِ قد أعددتِ كل شيء، فلا تتردّدي! أقدِمي واتركي الباقي للظروف.

كليوباترا: في الواقع ... الظروف تأتي أحيانًا بعكس المُنتظَر! ... قد نُحكِم تدبير أمر فإذا هو ينتهي بالفشل ... وقد نرى خطأً واضحًا فإذا هو غير ملحوظ للغير ويَمر بسلام ... أَلَا يقع هذا في الحياة؟!

المؤرخ: يقع كثيرًا!

كليوباترا: فلنترك التفصيلات الصغيرة إذن لظروفها.

المؤرخ: هذا قرارك الأخير؟!

كليوباترا: نعم.

المؤرخ: أُهنِّئك!

كليوباترا: أحَقًا تراني أستحق التهنئة؟!

المؤرخ: من كل قلبي ... لقد استطعت أن تغمريني بجو من الراحة المسترخية والطمأنينة الحالمة، وتُريني حتى جمال الأبدية! ... قبل أن يتم شيء.

كليوباترا: قولك هذا يسعدني ... إنها كانت مغامرة مني أن أُجازِف بعرض هذا عليك، قبل أن يتم شيء ... ولكن ما دامت النتيجة طيبة، فقد استراحت نفسي الآن ... ليس من حقي بعد ذلك أن أُسرِف في إضاعة وقتك ... يحسُن أن أنصرف ... هذا هو الوقت المناسب ... اسمح لي أن أعود إلى قاعة الحمام، أخلع ثوب الرقص وأرحل.

(تسرع إلى الخروج نحو قاعة الحمام ... وما إن يتثبّت المؤرخ من ذهابها حتى يقترب من جهاز التسجيل.)

المؤرخ (في جهاز التسجيل): أظن قد اتضح لكم الآن ما سيحدث لي هذه الليلة! ... إن فكرتها رائعة على كل حال ... وإن كنتُ أستبعد أن معناها قد خطر لها على هذا النحو: (كليوباترا ومؤرخها يموتان بطريقة واحدة)!

(ستار)

الفصل الثالث

(عين الصالون بالفندق، والمؤرخ يتنقل بين أركانه، وهو يرفع بحذر المقاعد والأغطية، كأنه يبحث عن شيء، ويقترب في النهاية من جهاز التسجيل فيُديره.)

المؤرخ (في جهاز التسجيل): لم أنَم منذ البارحة ... ولم أترك مكانًا هنا لم أبحث فيه عن الثعبان الملعون ... ما من شك عندي أنها جاءت أمس بثعبانَين في علبتَين، أحدهما من النوع السام، هو الذي حرصت أن تتركه هنا! ... لكن لماذا لم تُغمض لي عينٌ طول الليل؟! أهو الخوف؟ أهو الجُبن؟ ... أعترف أني خفتُ وجَبُنتُ! ليس أمام الموت بالطبع؛ فأنا مَقضيٌ عليٍ بالموت المُحتّم بعد أشهر قليلة ... وأنا نفسي الذي دبّرت كل هذا ... لست أدري حقًا مَبعث هذا الخوف والجُبن! أهو الشعور بوجود ثعبان سام معي في نفس الحجرة؟ ... أعترف أنه شعور يُثير في كل جسمي التقزّز والرّعدة، مهما يكن من أمر فإني خفت، ولا أزال خائفًا ... على الرغم من أملي أن يكون الثعبان قد غادر المكان، مُتسلّلًا من النافذة التي فتحتُها لخروجه ... على أني بذلك أكون قد أحبطتُ خطّتهم ... وهذا سيجعلهم يُفكّرون في خطة أخرى ... هذا الصباح حدثتني بالتليفون ... ولمّا علمتْ أني بخير، وعدتْ بالحضور هذا المساء (ينظر في ساعته) هذا موعدها ... ما من شك عندي في أنها ستحضُر، وفي جعبتها تدبير جديد.

(جرس الباب يدق.)

المؤرخ (وهو يتجه إلى الباب): ما أدقّ مواعيدها! ... سنرى ما الذي جاءت به اليوم؟!

(يفتح الباب، وتظهر كليوباترا بثوبها البسيط.)

المؤرخ (ناظرًا إلى يدها الفارغة): لا تَحملين شيئًا هذه المرة؟!

كليوباترا: لا ... لن أُضايقك مرة أخرى!

المؤرخ (وهو يُشير لها إلى المقعد المُعتاد قُرب الجهاز): إنها ليست مُضايقة ... بالعكس.

كليوباترا: إني خجِلة من نفسي! ... كلما تذكّرتُ ما حَدث أمس.

المؤرخ: الثعبان؟!

كليوباترا: كل شيء ... كل ما جرى مني ... إني آسِفة!

المؤرخ: تندمين الآن؟!

كليوباترا: كلما تذكرتُ أن رجلًا في مِثل قيمتك ومكانتك وعلمك ... أصنع به هذا ... أنا الراقصة الصغيرة المُتواضعة في ملهًى بسيط!

المؤرخ: ولكني بخير ... كل شيء كما ترين مر بسلام!

كليوباترا: من حسن الحظ ... أنك رجل كريم.

المؤرخ: دعينا مما حدث أمس ... لعلك فكرتِ في شيء جديد ... حَدِّثيني عما تنوين فعله!

كليوباترا: الليلة حقًا يوجد شيء جديد! ... ولكني مُترددّة ... أخشى أن يكون فيه ما يزعجك مرة أخرى.

المؤرخ: لا تتردّدي! ... ماذا يحدث الليلة؟!

كليوباترا: عيد ميلادي!

المؤرخ: عيد ميلادكِ أنت؟!

كليوباترا: نعم، وسنحتفل بذلك بعد منتصف الليل.

المؤرخ: وأنا مدعوٌ؟

كليوباترا: يَسرُّني هذا بالطبع، ولكن ...

المؤرخ: جئتِ الآن لتدعوني إلى هناك؟

كليوباترا: إني مُترددّة.

المؤرخ: لماذا؟

كليوباترا: أخشى عليك.

المؤرخ: سيكون هناك خطر عليّ؟!

كليوباترا: رُبّما.

المؤرخ: من أي نوع؟

كليوباترا: أي شيءٍ قد يُزعِجك ... لن تكون السهرة بالطبع بريئة تمامًا، وربما سيَكثُر الشراب والضجيج والهَرْج والمَرْج ... لا يستطيع أحد منع ذلك ... في مثل هذه المناسبات — كما تعلم — يفقد الناس صوابهم!

المؤرخ: ووسط الهَرْج والمَرْج، يلعب أنطونيو لعبته!

كليوباترا: ستكون هناك ألعاب بالطبع.

المؤرخ: لعبة الخناجر ... قد نرى فيها جديدًا!

كليوباترا: ورقصتي أنا؟

المؤرخ: قديمة! ... أقصِد بالنسبة إليّ ... تمّ عرضها أمس هنا ... بكل ما فيها من جديد.

كليوباترا (تتأمّله): أرى أنّ في نفسك شيئًا.

المؤرخ: في نفسي شيء؟!

كليوباترا: نعم ... لم يزل في نفسك شيء ضدي.

المؤرخ: ضدّك أنت؟ ... لا ... لا تفكري في هذا! فلنفكر فيما نحن فيه اليوم ... فيما نحن مُقبِلون عليه ... في الليلة ... فيما سيحدث الليلة!

كليوباترا: لن أسمح لك بالحضور الليلة!

المؤرخ: لن تسمحي لي؟! ولكني مدعوٌّ.

كليوباترا: من الذي دعاك؟!

المؤرخ: أنت الآن ... ألم تحضري الآن لهذا؟! لدعوتي؟!

كليوباترا: لم أدعُك بعد ... قلت: يَسرُّني ذلك ... ولكني لم أزِد على هذا شيئًا.

المؤرخ: ما دام هذا يَسُرُّك فهي إذن دعوة.

كليوباترا: لا.

المؤرخ: ما الفرق؟!

كليوباترا: هناك فرق واضح بين سروري بك، وانزعاجي لك! ... هل فهمت؟

المؤرخ: إنك تجيدين التعبير في دقة بارعة ... في الكلام كما في الرقص ... ولكني أريد أن أفهم منك أكثر من ذلك!

كليوباترا: ما دُمتَ قد فهمتَ فهذا يكفي.

المؤرخ: تخشَين عليّ من الحضور ... ولكن هذا ليس بالسبب الكافي لِأُحجِم أنا.

كليوباترا: أرجوك أن تُحجِم!

المؤرخ: إن أمرك عجيب! إذا كان هذا يُرضِيني أنا ويَسُرُّني، فما شأنك أنت؟

كليوباترا: ولكن حضورك لا يرضيني.

المؤرخ: سأذهب على الرغم من ذلك.

كليوباترا (متوسِّلةً): لن تذهب ... أرجوك!

المؤرخ (ينظر إليها مَليًّا): هذا غريب!

كليوباترا: نعم، لن تذهب!

المؤرخ: إن ضميرك يستيقظ دائمًا في الوقت غير المناسب!

كليوباترا: لست أدري لماذا تُصرّ على الذهاب؟ ... بالطبع تُريد مُجاملتي في عيد ميلادي ... إني شاكرة لك من كل قلبي، ولكن لن أجعلك تذهب ... لن أُعرّضك من أجلي لما تكره ... إني أتوسّل إليك أن تُصغي إليّ إذا كان في قلبك ذرّة من العَطف عليّ.

المؤرخ: توسّلاتك هذه تُذكّرني بتوسّلات زوجة قيصر!

كليوباترا: زوجة قيصر؟!

المؤرخ: نعم، يوليوس قيصر ... توسّلت إليه زوجته ذات يوم ألا يذهب إلى مجلس كان ينتظره فيه متآمرون بالخناجر! ... ومع ذلك لم يُصغِ إليها وذهب.

كليوباترا: لا أذكر أني شاهدت ذلك في فيلم السينما الذي حدّثتك عنه.

المؤرخ: فيلم السينما الذي شاهدته أنت لم يَحْوِ كل شيء.

كليوباترا: حقًا ... لم أشاهد فيه زوجة قيصر ... هل كانت جميلة؟

المؤرخ: بالطبع.

كليوباترا: أجمل من كليوباترا؟!

المؤرخ: ليس من السهل اليوم إجراء مقارنة!

كليوباترا: وكان يحبها ... أقصِد زوجته؟

المؤرخ: بدون شك.

كليوباترا: حَدّثني عن زوجته ... إني لا أعرف عنها شيئًا.

المؤرخ: أيهمّك أمرها؟

كليوباترا: نعم ... إني أتخيّلها في صورة رائعة ... صورة امرأة نبيلة ... فاضلة ... مخلصة ... وفيّة ... زوجة حقيقية بكل ما فيها من استقامة وطُهر ونقاء ... إنها ليست من طراز كليوباترا ... لا يمكن أن تكون من طرازها ... إن كليوباترا من طراز الراقصات ... أليس كذلك؟ ... إن إنسانًا ممتلئًا بالرجولة والنضج والجِد مثل يوليوس قيصر، لا يمكن أن يحب امرأة مثل كليوباترا حُبًا حقيقيًا.

المؤرخ: لقد أحبّها ... هكذا يقول التاريخ ... أما نوع هذا الحب، فمجاله بحوث أخرى تحتاج إلى تفكير آخر!

كليوباترا: وأنت، ألم تفكر في هذا؟

المؤرخ: أفكر في ماذا؟!

كليوباترا: في حبهما ... هل ترى من الممكن أن يحبها حبًا حقيقيًا؟

المؤرخ: وما هو الحب الحقيقي؟

كليوباترا: هو ... ليس من السهل تعريف ذلك ... إنها عاطفة يُحسُّها الإنسان أو لا يُحسُّها.

المؤرخ: وأنتِ؟ ... هل أحسستها؟!

كليوباترا: نعم.

المؤرخ: أنطونيو؟!

كليوباترا: أرجوك لا تُلْقِ عليّ هذا السؤال الآن.

المؤرخ: آسف!

كليوباترا: سؤالك قد يُعطيني الحق أن أسألك أنا بدوري!

المؤرخ: تَسأليننني؟ ... عن ماذا؟!

كليوباترا: عن الحب الحقيقي ... إني آسفة أنا كذلك ... إنك لست مضطرًا أن تُجيب عن مثل هذا السؤال ليس من حقي هذا.

المؤرخ: ولم لا؟ ... أُجيبُك في الحال ... أنت تقصدين طبعًا تجاربي الخاصة ... بكل بساطة أقول لك إني كنت دائمًا رجلًا صارمًا؛ لأن ظروف حياتي وضعتني هذا الموضع ... حياة رتيبة، أوقاتُها مُنظّمة تنظيمًا يكاد يكون آليًا ... حياة أستاذ في جامعة مُنقطِع للدراسة ومواعيدها المحددة ... كل حياتي كانت في جامعة ... في نفس الجامعة ... كنت بها طالبًا، وأصبحت فيها أستاذًا ... حياتي كانت مرسومة دائمًا مُقدّمًا ... في خط واحد طويل ... أعرف ماذا سيَحدُث لي غدًا بالضبط ... حتى المرأة في حياتي كان وضعها مُنظّمًا بدقّة منذ أول الأمر ... فزوجتي هي ابنة عمي ... ومنذ صبانا ونحن نعرف أننا سنرتبط بالزواج ... وكان بيننا دائمًا ذلك الحب الذي هو أقرب إلى المودّة ... حب زوجي هادئ رتيب هو أيضًا ... هذا هو الحب الذي عرفتُه ... أيكفيكِ هذا؟

كليوباترا: نعم ... حب مبنيٌ على الاحترام المتبادل!

المؤرخ: حقًا.

كليوباترا: ولكنه عميق مع ذلك.

المؤرخ: بالطبع ... لا أذكر أن عاصفة استطاعت أن تهز هذا الحب الزوجي! ... ربما لأنه لم تهُبّ عاصفة ... لقد كنا بمأمن من كل خطر ... لنوع الحياة التي كنا نعيشها.

كليوباترا (كالحالمة): حياة جميلة! ... تجري كالجدول الهادئ الصافي!

المؤرخ: نعم ... لا أذكر أن صيحة مزعجة ارتفعت تحت سقفنا إلا يوم وُلِد ابننا.

كليوباترا: إنها لم تكن مزعجة!

المؤرخ: لا بالطبع، لم تزعجنا، ولكنها كانت شيئًا غريبًا علينا.

كليوباترا: ولكنه محبب!

المؤرخ: هذا صحيح ... قد اعتدنا ذلك وأحببناه فيما بعد.

كليوباترا: إن زقزقة عصفور على جدول هادئ لا تُعَد شيئًا مزعجًا.

المؤرخ: كم كان هذا الولد مَعقد آمالنا ... حياته هو أيضًا أُعدّت بنظام دقيق: صحته ونموه ... ساعات أكله ونومه ... وأنواع طعامه ولهوه ... وعندما شبّ صرنا نفكر فيما يقرأ وما لا يقرأ ... ثم أصبح شابًا ودخل الجامعة، فكان الطالب المثالي ... جسمًا وعقلًا ... كان ممتازًا في كثير من ألعاب الرياضة وألوان المعرفة، وكان مُلمًا بعدة لغات، تعلّم بعضها بمفرده، بجهده الشخصي في أوقات فراغه ... كان تكوينه الثقافي والعلمي يدعو إلى دهشة الناس ... حتى الموسيقى والفنون درسها وبرع فيها ... لقد كان عجيبًا هذا الولد ... كنت أنظر إليه وهو في العشرين، وأقول في نفسي: هذا الجسم وهذا العقل قد كُوّنا تكوينًا يُشرّف الإنسان! ... هذا شاب قد كُوّن تكوينًا يستطيع أن يحمل به سبعين عامًا على الأقل من أعمال عظام! ... ثم اتّجه إلى دراسة الطيران ... وجُنّد في الحرب.

كليوباترا: الحرب؟!

المؤرخ: نعم، وكان فَرحًا ... وكانت أمه يرتجف قلبها قلقًا ... وكنت أنا أنظر إلى وجهه خُفيةً فألمح في عينيه بريقًا غريبًا ... فيه مزيج من مرح وبِشر وتفاؤل ... كان بريقًا كأشعة الشمس في الصباح الباسم ... خُيّل إليّ وقتئذ أني أرى في عينيه بريق الحياة كلها بآمالها الواسعة! ... قلتُ في نفسي عندئذٍ: لا يمكن أن يكون مثل هذا البريق مُشرفًا على عالم الموت!

كليوباترا (همسًا): الموت؟!

المؤرخ (كالمخاطب نفسه): كنت أنا أول من تلقّى الخبر ... جاءني من قبل الجهات الحربية من يُبلّغني ... لم يكن في حاجة إلى كلمات ... كفاني وجهه وحده وإطراقُه وصمتُه ... كان الموقف فظيعًا ... لستُ أدري كيف احتملتُه ... ولكني احتملتُه ولم أقُل شيئًا ... ولم أجرؤ أن أخبر زوجتي بالأمر ... ثلاثة أيام مضت وأنا أكتم الخبر في صدري ... وهو يدمّرني تدميرًا من الداخل، ولا أستطيع أن أتأوّه ... ثلاثة أيام بلا نوم ولا طعام وأنا أحتجّ لزوجتي بمختلف الحجج على ما يبدو مني ... وكانت المسكينة لم تزل تنتظر عودته في الإجازة القصيرة، كما وعد في آخر رسالة له، وتُعدّ له الفطائر التي يحبها ... وتزيّن نوافذ حجرته بستائر جديدة بهيجة الألوان ... وأنا أنظر إلى كل هذا ولا أستطيع أن أذرف أمامها دمعة! ... كان كل يوم يمضي يُؤكّد عندي أني لن أستطيع إخبارها ... أبدًا.

كليوباترا (متأثّرة): أرجوك!

المؤرخ (مُسترسلًا ناسيًا نفسه): وعلمت هي آخر الأمر ... بالمُصادَفة ... من بعض المعارف ... اطّلَعوا على النشرة العسكرية، وتحدّثوا بما وَرَد فيها من أسماء القتلى! ... وجئتُ في ذلك اليوم من عملي فوجدتُها في فراشها شِبه ميتة.

كليوباترا: يكفي ... أرجوك!

المؤرخ (وقد نسي نفسه): منذ ذلك اليوم، لم تضع في جوفها لقمة، ولم أسمع من فمها كلمة ... كان آخر ما تفوّهت به عبارة واحدة لفظتها همسًا وفي شبه حشرجة عندما أفاقت ووجدتني على رأس فراشها: «كنتَ تعلم؟!» فأجبتُها بهزّة من رأسي أن «نعم»! ... وعلى الرغم مما بذله الأطباء من علاج، لم تستطع مَعِدتُها أن تقبل الطعام شهورًا ... وأُصيبَت بهُزال شديد ولم تكن بنيتها قوية ... ولم تُتِمّ العامَ حتى أدركتها الوفاة (يُطرِق طويلًا)!

كليوباترا (تنظر إليه في تأثّر): إني آسفة!

المؤرخ: إن الجدول الهادئ الصافي لم نكن نتصور أنه سيسقط فيه يومًا هذا الحجر الضخم ... لقد سدّ مجراه ... وبهذا سدّ شريان الحياة بالنسبة إلى امرأتي!

كليوباترا (متأثرة ومرتبكة): إني ...

المؤرخ: أما بالنسبة إليّ أنا، فقد بذلت جهدًا شديدًا في التجلّد، واستطعتُ بعد مشَقّة أن أُحوّل مجرى حياتي إلى العمل ... ولكن الحياة نفسها لم تَعُد عندي هادئة ولا صافية ... تحطّم الجدول الهادئ الصافي.

كليوباترا: إني ... ما كنت أريد أن ...

المؤرخ: مُنذ ذلك اليوم أغرقت رأسي في عملي ... حتى لا أفكر في شيء آخر ... ورأيت أخيرًا أن أقوم برحلات طويلة في بلاد لا أعرفها؛ أجمع الوثائق عن شعوبها وتاريخها، وذهبت إلى جزر نائية ... فوجدت الأجناس متصلة في تفكيرها، لست أدري كيف؟ ... والحوادث تتشابه ... ولكن في أحجام مختلفة ... والآمال واحدة ... كل البشر يريدون ذلك الجدول الهادئ الصافي، ويخشون تلك الأحجار التي تتساقط من السماء!

كليوباترا (هامسة وهي تنظر إليه): نعم ... نعم.

المؤرخ: ولكن تلك الأحجار لا تتساقط من السماء وحدها ... لا، مع الأسف الشديد، هنا من الناس في الأرض من يُطلقونها إلى السماء لتسقط مرة أخرى على إخوتهم في الأرض، بلهبها ودخانها وترابها وإشعاعاتها القاتلة ... القاتلة!

كليوباترا: هذا صحيح.

المؤرخ (كالمخاطب نفسه): لا ... إنك لا تعرفين مدى ما أرمي إليه ... ولا ينبغي أن تعرفي ... لم يحِن الوقت بعد لتعرفي ... ستعرفين في الوقت المناسب.

كليوباترا: أعرف ماذا؟

المؤرخ: حقيقة ما أرمي إليه! ... حقيقة موقفي.

كليوباترا: موقفك؟! ... مني؟

المؤرخ: من كل شيء ... من كل الناس.

كليوباترا (ناظرةً إليه مستفهمةً): لستُ أفهم.

المؤرخ: أعرف ذلك ... من المستحيل أن تفهميني الآن ... إني في نظرك رجل يُضيِّع أيامه في الهزل ... أليس كذلك؟!

كليوباترا (مُحتجّة بقوة): لم أَقُل ذلك مُطلقًا.

المؤرخ: لم تقوليه بلسانك ... ولكن هذا رأيك!

كليوباترا: لا، ليس هذا رأيي ... ما الذي يجعلك تعتقد هذا؟!

المؤرخ: سؤالك لي الساعةَ عن الحب!

كليوباترا: وماذا في ذلك؟! ... الحب ليس بالهزل!

المؤرخ: عندما يُسأَل فيه رجل مثلي الآن فإنه يفقد جدّيته.

كليوباترا: ولكنك تحدثت عنه حديثًا رائعًا!

المؤرخ: متى؟

كليوباترا: منذ لحظة وأنت تتحدث عن زوجتك!

المؤرخ: لا تذكري زوجتي!

كليوباترا: معذرةً! إني ...

المؤرخ: إنك لا تعرفين أن الحب كنواة الذّرّة، عندما يتحطّم يصبح قوة للبغضاء هائلة!

كليوباترا: البغضاء؟

المؤرخ: نعم، لم يَبقَ عندي غير قوة هائلة للكره والبغضاء.

كليوباترا: أنت؟! ... لا أصدق!

المؤرخ: ستُصدّقين يومًا ... يومًا قريبًا جدًا ... لقد كنتُ أنا في حياتي كُلِّها ... حياتي الماضية، لا أعرف ما هو الكره، ولا ما هي البغضاء؟ ... كنت أجهل تمامًا من أي شيء تنبع؟

كليوباترا: ولم تزل حتى الآن، لا ينبع من قلبك غير العواطف الكريمة.

المؤرخ: أنا؟! ... الآن؟!

كليوباترا: نعم، أنت الآن وفي كل وقت ... لا شك في ذلك عندي ... ماذا تسمي ذلك الذي يوصي بثروته إلى فتاةٍ مثلي؟!

المؤرخ: آه ... الوصية؟

كليوباترا: نعم، من أي قلب ينبع هذا التصرٌف؟ أهو من قلب يعرف الكره والبغضاء؟!

المؤرخ (كالمخاطب نفسه): ستعرفين!

كليوباترا: إني أعرف جيداً أنه تصرٌف نابع من الحب.

المؤرخ: الحب؟!

كليوباترا: نعم؛ لأن الإنسان لا يوصي بماله إلى من يكره!

المؤرخ: يحدث أحياناً.

كليوباترا: هل يوجد سبب يدعوك إلى كراهيتي؟!

المؤرخ: ليست كراهتي لك أنت بالذات.

كليوباترا: ما دُمتَ لا تكرهني أنا بالذات، فأنت إذن ...

المؤرخ: لا أكرهك أنت بالذات ... شخصك بعيد عن مجال مشاعري الحاضرة!

كليوباترا: ولكنك اخترتني لتجعلني وارثتك.

المؤرخ: نعم، وماذا في هذا؟

كليوباترا: هذا الاختيار وحده يحمل معنًى.

المؤرخ: لا معنى له على الإطلاق.

كليوباترا: هذا غير معقول ... لا بد أن يكون له معنًى خاص ودافع خاص.

المؤرخ: أذكر أننا تحدثنا في ذلك، وذكرت لك الأسباب والعلل والدوافع.

كليوباترا: الاسم! ... لأني أحمل هذا الاسم: «كليوباترا»! ... أليس كذلك؟

المؤرخ: نعم.

كليوباترا: بينك وبين نفسك، أتظن هذا مقنعاً؟!

المؤرخ: لقد أقنعتك وانتهى الأمر، ولا داعي إلى فتح باب المناقشة في ذلك من جديد!

كليوباترا: إني لم أقتنع ... شيء واحد يُقنعني ... هو أن دافعك عاطفة أجمل من هذا.

المؤرخ: أيٌ عاطفة؟! ... ماذا يمكن أن تكون؟!

كليوباترا: ليس الكره على أي حال!

المؤرخ: إني موافق.

كليوباترا: وافق أيضًا على أنها عاطفة جميلة!

المؤرخ: جميلة؟! أترك لك استعمال «الصفة» التي تريدينها!

كليوباترا: أرجوك ... لا تُصوِّر قلبك بهذه البشاعة! ... إنه بريء من اتهاماتك ... إن قلبك لا يعرف الكره ... إنه قد تحطّم حقًا ... ومأساتك ليست هينة، ولكن بقايا قلبك يمكن أن تُرمّ ... لأنها دائمًا نابضة بحياة الخير والحب.

المؤرخ: أرجوك ... لا تُمَنّي نفسك بالأوهام!

كليوباترا: إني واثقة.

المؤرخ: واثقة بماذا؟

كليوباترا: بأن في استطاعتي أن أزيل عنك سُحب الكآبة القاتمة، وأجعلك تبتسم للحياة.

المؤرخ (كالمخاطب نفسه): للحياة!

كليوباترا: نعم، والأمر بسيط جدًا.

المؤرخ (ساخرًا): حقًا ليس أبسط من ذلك!

كليوباترا: مجرد اجتياز عتبة ... عتبة حياتك الحاضرة.

المؤرخ: نعم، باجتياز هذه العتبة أُصبح في راحة دائمة!

كليوباترا: لا يتطلب الأمر غير إرادة.

المؤرخ: عندي الإرادة ... اطمئني!

كليوباترا: اتفقنا إذن.

المؤرخ: اتفقنا، يكفي أن أذهب الليلة إلى حفلة عيد ميلادك وأجتاز عتبة ملهى «الطاووس الذهبي»، وعندئذٍ ...

كليوباترا (بقوة): لا.

المؤرخ: عجبًا!

كليوباترا: أنعود إلى الكلام في ذلك من جديد؟! ... لقد قلت لك إني لا أريد أن تذهب إلى هناك! ... لا أريد!

المؤرخ: قلت لك منذ قليل إنك لا تفهمين مشاعري!

كليوباترا: حقًا!

المؤرخ: أنا أيضًا — اسمحي لي — لا أفهم حقيقة مشاعرك! ... ما هو السبب الحقيقي الذي يدفعك إلى منعي من الذهاب إلى هناك الليلة؟

كليوباترا: قلت لك السبب ... لا أريد أن تطّلع هناك الليلة على أشياء ستُعرِّضني لاحتقارك!

المؤرخ: سبب لا يُقنعني ... لقد شاهدتُك من قبل وأنت بين السُّكارى فلم تحفلي.

كليوباترا (كالمخاطبة نفسها): الأمر اليوم مختلف!

المؤرخ: لماذا؟ ... لست أرى الفرق!

كليوباترا: أنت لا ترى شيئًا!

المؤرخ: حقًا لست أرى شيئًا ... اضطربت الرؤية أمامي في هذا الأمر ... كما هي في أمر العالم كله المحيط بي اليوم ... أهو الضمير؟ ... أهو النفاق؟ ... أهو التلاعب؟ ... كل إنسان، ككل أمة، يريد إبادة غيره، ثم يغسل يديه متحدثًا عن الحب والخير والتعاون والتفاؤل ... ألفاظ جميلة رُسمت رسمًا بهيجًا فوق ستار مسرحي، لتجري خلفها لعبة الموت!

كليوباترا: لعبة الموت!

المؤرخ: نعم، في هذا العالم المحيط بنا، هذا ما أقصده، ألا ترين هذا؟ ألا تقرئين الصحف على الأقل؟ أو تسمعين الإذاعات؟!

كليوباترا: إني أمنعك من ذكر الموت.

المؤرخ (لنفسه، ناظرًا إليها فاحصًا): يا للبراءة والطهارة!

كليوباترا: إنك لست طبيعيًا ... نظراتك لي في بعض الأحيان ليست طبيعية! ... لو استطعت أن أفهم ما وراءها!

المؤرخ (ناظرًا إليها): وأنا لو استطعت أن أفهم ما وراء هذا الستار المسرحي!

كليوباترا (في احتجاج): أيُّ ستار مسرحي؟!

المؤرخ (متأملًا وجهها): كيف يمكن رسم هذا الهدوء البريء، والتفاؤل البهيج، والسلام المطمئن؟!

كليوباترا (منتفضة غاضبة): إنك تُهينني يا سيدي!

المؤرخ: اجلسي أرجوك ... أنت تعرفين جيدًا أني لا أقصد مطلقًا إهانتك.

كليوباترا: ماذا تقصد إذن؟

المؤرخ: محاولة فهمك ... لا أكثر ولا أقل ... أنت لا تفهميننى ... أليس كذلك؟ ... أنا أيضًا لا أفهمك ... وطبيعي جدًا أن يحاول أحدنا فهم الآخر واكتشاف ما يُخفيه.

كليوباترا: لست أخفي عنك شيئًا ... ووجهي ليس ستارًا مسرحيًا!

المؤرخ: هذا ما أستطيع أنا أيضًا أن أزعمه!

كليوباترا: تزعمه؟! ... هل تُخفي عني شيئًا؟! ... أنت؟!

المؤرخ: وأنتِ؟!

كليوباترا: ليس هذا ردًا على سؤالي.

المؤرخ: سؤالك وسؤالي ليس لهما أيٌ مُوجِب! ... ولا فائدة! ... ولا نتيجة! ما دام كل منا حريصًا على ألّا يكشف أوراقه.

كليوباترا (ناظرة إليه مليًا): إنك تتكلم لغة عجيبة!

المؤرخ: لماذا؟ ... ألا يلعبون الورق في ملهى «الطاووس الذهبي»؟!

كليوباترا: نعم، ولكن ...

المؤرخ: إني لا أعرف لعب الورق ... لم يكن في حياتي متسع لذلك ... ولكن هذا لا يمنع من معرفة بعض كلمات نسمعها، على الرغم منا، من أفواه اللاعبين ... أنت بالطبع تعرفين لعب الورق ... كل أنواع اللعب.

كليوباترا: لا أحبه.

المؤرخ: هذا لا يمنعك من مشاهدة الآخرين وهم يزاولون اللعبة!

كليوباترا: ربما.

المؤرخ: ستكون الليلة هناك بالطبع لعبة ضخمة! ... سأشاهدها.

كليوباترا: أنت إذن مُصِرٌ!

المؤرخ: لقد قمتِ بالتشويق الكافي لحثي على الذهاب.

كليوباترا: أنا؟!

المؤرخ: طريقة المرأة الخالدة، عندما تقول «لا»! ... إن ترديدك طول الوقت: «لا تذهب ... لا تذهب» قد أغراني! ... إنها وسيلتكنّ دائمًا أيتها النساء البارعات في إثارة الاهتمام! ... لقد جئتِ عامدةً بتدبير مُحكم، تزفّين خبر عيد ميلادك أولًا، ثم تتظاهرين بالتردُّد في دعوتي، ثم تصرفينني عن الذهاب، وأخيرًا تُلحّين في منعي ... كل هذا معناه بلغتكنّ: «أريدك أن تذهب!» ... ولو أنك جئتِ في أول الأمر تُلحّين في دعوتي وتقولين: «إياكَ أن تنسى الذهاب الليلة لحضور حفلة عيدِ ميلادي ... إنيَ في انتظارك هناك!» لو

أنك قلت ذلك لبدا الأمر مُبتذلًا، ولكان من المنتظر أن تُقابلَني بلفظة اعتذار رقيقة، وينتهي الموضوع عند هذا الحد! ولكن براعتك في الطريقة، جعلتَني مشتاقًا إلى الذهاب ... لقد نجحت خطتك نجاحًا باهرًا.

كليوباترا: أهذا تفكيرك؟!

المؤرخ: أليست هي الحقيقة؟! اعترفي! ... ثقي أنه يسرني أن تكوني بارعة ... وأن تنجحي!

كليوباترا (وهي تنهض سريعًا)**:** شكرًا!

المؤرخ: أتنصرفين؟ ... هكذا فجأة!

كليوباترا (وهي متجهة إلى الباب)**:** وداعًا يا سيدي!

المؤرخ: ولماذا لا تقولين: إلى اللقاء! ما دمتُ سأحضر الليلة عيد ميلادك؟

كليوباترا (وهي خارجة)**:** لم يعد يهمني أن تحضر أو لا تحضر!

(تخرج بسرعة وتغلق خلفها الباب، وتتركه واقفًا في مكانه بلا حراك!)

(ستار)

الفصل الرابع

(الصالون عينه في الفندق ... وكليوباترا جالسة في أحد المقاعد قُرب باب حجرة النوم ... وقد وضعت رأسها في كفّيها ... ولا يمضي قليل حتى يظهر المؤرخ خارجًا من حجرة النوم في رداء منزلي «روب دي شامير»، وعلى رأسه كمادة بيضاء.)

المؤرخ (لكليوباترا): هذه أنتِ؟! أنتِ بالطبع التي وضعتِ لي هذه الكمادات (ينزعها من فوق رأسه)؟

كليوباترا: هل أفقت تمامًا؟!

المؤرخ: كما ترين! إني أتكلم بطلاقة.

كليوباترا: ولماذا استيقظت الآن؟ إن الفجر لم يَبزُغ بعد.

المؤرخ: لست أدري ... تنبّهت فجأة.

كليوباترا: هل زال صداعك؟!

المؤرخ: نعم ... بقي مع ذلك أثر خفيف.

كليوباترا: اذهب إلى فراشك، واسترح حتى الصباح.

المؤرخ: لم تَعُد بي رغبة في النوم.

كليوباترا: عُد أولًا إلى فراشك، وأغمض عينَيك، وحاول أن تنام قليلًا!

المؤرخ: قولي لي أولًا: لماذا أنتِ هنا؟ كيف دخلتِ هذا المكان ... في مثل هذه الساعة؟! كيف جئتِ؟

كليوباترا: جئتُ معكَ طبعًا ... ألا تذكر؟

المؤرخ: نعم، نعم ... أذكر شيئًا كهذا ... لكن لماذا جئتِ معي؟

كليوباترا: لأنك لم تكن في حالة تسمح لك بالمجيء بمفردك!

المؤرخ: المهم أني جئت ... أني عُدت ... من ملهى «الطاووس الذهبي» ... عُدت سليمًا مُعافًى أليس كذلك؟

كليوباترا: وماذا كنت تتوقع إذن؟

المؤرخ: لم يحدث لي شيء ... أليس هذا عجيباً؟

كليوباترا: حدثت منك أشياء ما كنت أحب أن أراها.

المؤرخ: مني أنا؟ ماذا حدث مني؟

كليوباترا: ليس الآن وقت الكلام في ذلك ... الآن يجب أن تذهب إلى فراشك وتنام حتى الصباح!

المؤرخ: لا أريد أن أذهب إلى فراشي.

كليوباترا: يجب أن تذهب إلى فراشك!

المؤرخ: إني لست طفلاً حتى تأمريني أن أذهب إلى فراشي! ... لقد مضت أربعون عاماً لم أسمع فيها هذه الجملة ... اذهب إلى فراشك! من ترين أمامك؟! أحب أن ألفت نظرك إلى أن الشخص الذي أمامك هو الآن كهل!

كليوباترا (ساخرة): أتظن ذلك؟!

المؤرخ: هل لديك شك؟

كليوباترا: نعم، بعد تصرفاتك بالأمس! ليس من الضروري أن يتجاوز رجلٌ الطفولة لأنه تجاوز الأربعين!

المؤرخ: ماذا تقولين؟

كليوباترا: أقول إنك لم تزل في حاجة إلى العناية والراحة!

المؤرخ: أظن أنا الذي أستطيع تقدير ذلك ... ألا تتركين لي أيضاً تقدير شعوري بالراحة أو التعب؟! إني لا أشعر بأيِّ تعب الآن ... هذا شعوري أنا! ... هل تعرفين ذلك أكثر مني؟!

كليوباترا: طبعاً لا.

المؤرخ: ولماذا لا أقول لك أنتِ أيضاً: اذهبي إلى فراشك واستريحي؟! أنتِ على الأقل لم تنامي لحظة حتى الآن.

كليوباترا: إني مُعتادة السهر طول الليل! ولكنك أنت تفعل أشياء لم تتعودها.

المؤرخ: السهر!

كليوباترا: وغيره.

المؤرخ: الشراب!

كليوباترا: إلى درجة أن تفقد وعيك و...

المؤرخ: وماذا؟

كليوباترا: ووقارك!

المؤرخ: وقاري؟! وما شأنك بوقاري؟! ومع ذلك، عندما أفقد وقاري مرةً احتفالًا بعيد ميلادك ... ألا يسرُّك ذلك؟!

كليوباترا: لا أحب أن تفعل أنت مثل الآخرين!

المؤرخ: ولمَ لا؟

كليوباترا: لك وضعٌ آخر عندي على الأقل!

المؤرخ: وضعُ الأب المحترم!

كليوباترا: لا، لا تقل هذا!

المؤرخ: وما الضرر؟

كليوباترا: لا، لم أقصد هذا قط!

المؤرخ: هذا لا يضايقني! أنت في سنِّ ابنتي! وإني أراك تعاملينني معاملة الابنة التي تريد أن تضع أباها فوق قاعدة تمثال وتجلس تتأمل كل ذرةَ غُبار تمر به لتبعدها عنه ... هذا هو الذي يضايقني منكِ أحيانًا!

كليوباترا: إني لا أنظر إليكَ باعتباري ابنتك!

المؤرخ: هذا مجرد إحساس عندي!

كليوباترا: أعرف مصدر هذا الإحساس عندك!

المؤرخ: تعرفين؟

كليوباترا: نعم، الوصية هي مصدر كل هذا ... وصيتك لي!

المؤرخ: الوصية؟!

كليوباترا: نعم، وصيتك لي ... هي السد بيني وبينك ... كل اهتمام مني تُفسِّره أنت بأنه صادر عن علاقة وارث بمُورِث!

المؤرخ: وماذا عرفتِ أيضًا عن أمر الوصية؟

كليوباترا: أني لا أستحقها ... يوجد غيري كثيرون كان من الواجب أن توصي إليهم؛ لأنهم يستحقون ذلك منك ... ما كان يجب عليّ أن أقبل ... حتى على سبيل المزاح ... كان يجب عليّ أن أنبهك إلى آخرين غيري من أول الأمر ... ولكني أنا نفسي لم أفطن إلا أخيرًا.

المؤرخ: تفطنين إلى ماذا؟!

كليوباترا: إلى واجبي!

(تُخرج صورة الوصية من حقيبة يدها.)

المؤرخ: ما هذا؟

كليوباترا (وهي تعطيه الورقة): أرجوك ... لا تعتبر هذا مني جرحًا لشعورك! لكن لا بد لي من ردها إليك!

المؤرخ (في دهشة): ترديها إليّ؟ ولكنك لا تملكين ذلك ... المفروض أنك لا تعلمين بالوصية ... وأنا حُرٌّ أوصي، وليس لك أن ترفضي!

كليوباترا: ليس لي أن أرفض مالًا يأتيني من وصية؟! لقد توقعت هذا الجواب منك، فألحقت إقرارًا بهذه الورقة ... تستطيع أن تقرأه!

المؤرخ (وهو ينشر الورقة في يده): إقرار؟!

كليوباترا: نعم، اقرأ ... أرجوك!

المؤرخ (يقرأ): «أنا الموقّعة على هذا بإمضائي ... أُقرٌّ وأعترف بأني قد وهبت كل ما يكون قد خصني في وصية الأستاذ ... للطلبة الفقراء في جامعته» (يرفع رأسه وينظر إليها) أنتِ؟ تفعلين هذا؟!

كليوباترا: أمَا كان هؤلاء يستحقون أكثر مني؟!

المؤرخ: تأنيب جميل!

كليوباترا: لم أقصد تأنيبك.

المؤرخ: ولكنك فعلت بطريقة عملية، واستطعت أن تفهميني أني رجل لم يُحسن القيام بواجبه! ... لم يفكر الأستاذ في طلبته الفقراء، وفكّرت فيهم راقصة في ملهًى صغير!

كليوباترا: ثق أن هذه الراقصة في الملهى الصغير لم ترتفع بهذا التفكير، كما أن الأستاذ لم ينخفض ... على الأقل في نظري!

المؤرخ: أشكرك!

كليوباترا: الآن قد أصبحتُ حُرّة طليقة بالنسبة إليك ... أستطيع أن أصنع ما أشاء.

المؤرخ: تصفعيني؟!

كليوباترا: بالعكس.

المؤرخ: هناك نقطة تحتاج إلى توضيح: أمك وأنطونيو ... ماذا يقولان في ردّك الوصية وإقرارك هذا؟!

كليوباترا: أمي وأنطونيو لا يعلمان شيئًا عن الوصية.

المؤرخ: عجبًا! ألم تُخبريهما بأمرها؟!

كليوباترا: لا، مطلقًا ... ما من أحد يعلم بخبرها.

المؤرخ (كالمصدوم): كيف ذلك؟ لا أحد يعلم؟!

كليوباترا: هذا ما حصل ... ولماذا تريد أن أُخبرهما؟ ... أنا نفسي لم آخذها قط على سبيل الجِد!

المؤرخ: إذن ... عندما جئتِ هنا لتَرقصي ... لماذا جئتِ هنا بالذات؟ لماذا لم تعرضي عليّ رقصتكِ هناك في الملهى؟ ولماذا جئتِ بالثعبان؟

كليوباترا (في استغراب): ما هي المناسبة لمثل هذا السؤال الآن؟!

المؤرخ (مرتبكًا): آه ... لا أدري ... مجرد سؤال خطر لي.

كليوباترا: هل ضايقك أني آتي هنا لأعرض عليك رقصتي؟ ... حقًا ... لقد شعرت أنا أيضًا أن هذا لا يليق ... وندمت بعد ذلك ... ولكن كان هذا في نظري أخف الضررين ... كنت أرى دعوتك إلى الملهى ماسّةً بمكانتك ... أستاذ مثلك يأتي ليرى تجربة رقصة لمثلي! ... هنا بين الجدران المغلقة ربما كان الوضع مقبولًا ... هذا على كل حال كان تقديري! ... إني آسفة!

المؤرخ: لا ... إن تقديرك كان صائبًا ... جئتِ بثوب الرقص في الحقيبة ... هذا طبيعي، ومستلزمات الرقصة ... من ثعبان، وكان ثعبانًا واحدًا بالطبع.

كليوباترا (في استغراب): ثعبانًا واحدًا؟! ... ماذا تعني؟!

المؤرخ: ذلك الذي جئتِ به في العلبة ... ثعبانك غير السام.

كليوباترا: ثعباني طبعًا الذي أرقص به.

المؤرخ: وذهبتِ به طبعًا.

كليوباترا: طبعًا ... ما معنى هذه الأسئلة؟

المؤرخ: لا، لا شيء ... تداعي الأفكار يجرّ دائمًا إلى أشياء لا معنى لها (يضحك ضحكًا طويلًا) آه! ... لم يقع إذن شيء من كل هذا الذي تصورتُه ... آه! ... لم يقع شيء إذن.

كليوباترا (ناظرة إليه): أرى أنك لم تُفِق بعدُ تمامًا ... قلت لك: اذهب ونَمْ قليلًا!

المؤرخ: أنعود إلى موضوع النوم؟ ... لا ... إني الآن في أتَمّ يقظة ... (كالمخاطب لنفسه) لقد شربتُ حقًا هناك وخدّرتُ نفسي حتى لا أشعر بشيء عند وقوعه ... لم يكن لكل هذا إذن مُوجِب ولا ضرورة، كانت أوهامًا ... أخطأتُ تقدير الأمور ... أخطأتُ ... خطأ مضحكًا!

كليوباترا: ألم أقل لكَ ذلك؟ ... ألم أُلِحّ في منعك من الحضور؟ ... إني كنت أعلم أن هذا ليس مجالك ... هناك ليس مكان مِثلك! ... سيكون هناك شراب كثير ... وقد تدفعك المجاملة والمجاراة والجو المحيط بِك في ليلة كهذه إلى أن تُحاكي الآخرين ... لكني ما كنت أنتظر أنك تُبالغ إلى حد أن تسقط مخموراً تحت الموائد بين ضحكات الحاضرين ... وصخب السُكارى ... وأي نوع من الحاضرين والسُكارى؟! ... أنتَ ... بين هؤلاء ... أنتَ الأستاذ المحترم!

المؤرخ: حقًا ... محترم جداً ... هذا الأستاذ المحترم في تفكيره وتدبيره!

كليوباترا: اعترف الآن أني كنتُ على حق في منعك! ... ومع ذلك لن أنسى قولك لي إنني إنما كنتُ أُغريك ... ألم تقل هذا؟!

المؤرخ: كنت واهماً ... واهماً في كل شيء ... كل شيء كان يجري في رأسي أنا وحدي!

كليوباترا: يكفيني اعترافك هذا.

المؤرخ: آه لو كانت لي الشجاعة أن أعترف لكِ بكل شيء!

كليوباترا: تعترف لي بكل شيء؟

المؤرخ: نعم تدبيراتي، تقديراتي واستنتاجاتي ... (يضحك ساخراً ثم يستدرك) أقصد التاريخية! ... من يُدريني أنها لم تكن أوهاماً هي الأخرى! ... (كالمخاطب لنفسه) بدأت أشك في التاريخ الذي نرويه ونصنعه ... لعلّ أكثره مصنوع بهذه الطريقة ... يجري فقط في رءوسنا ... دسّت كليوباترا السم لأخيها وربما كان هذا محض استنتاج من مؤرخ محترم، عقله مثل عقلي ... والحقيقة أن كليوباترا لم تعرف شيئًا قط عن هذا الأمر، وأن موت الأخ كان طبيعيًا أو مُدبّراً من أحد رجال السياسة، بدون علم الأخت ... أليس هذا جائزاً؟ ... كل شيء جائز الآن في نظري ... ممن يفكرون مثلنا!

كليوباترا (ناظرة إليه في ارتياب): وبعد؟

المؤرخ: لماذا تنظرين إليّ هذه النظرة؟

كليوباترا: ماذا أفعل؟ عندما أقول لك إنك لم تُفِق تماماً فإنك تغضب.

المؤرخ: تقصدين أني أخلط الآن وأَهرِف.

كليوباترا: ليس هذا بالضبط.

المؤرخ: اسمعي! ... إني لم أرَ الأشياء بوضوح كما أراها الآن ... لا تعتقدي أني أهذي وأنا أقول لكِ إننا نصنع أحياناً بعقولنا أشياء لا وجود لها، وندعها تنمو وتعيش حياتها الوهمية، ثم نعاملها كما لو كانت حية في الواقع، تتحرك وتسير وتُحدِث نتائجها التي نتوقعها منها ... ربما كان هنا أيضاً سر كوارث العالم!

كليوباترا: تقصد التاريخ؟

المؤرخ: نعم، و...

كليوباترا: ربما كنتَ على حق في هذا ... إذا كان ما شاهدتُه أنا في فيلم السينما مستمداً من التاريخ فإن هذا التاريخ لا يمكن أن يكون معقولًا.

المؤرخ: أنتِ أيضًا ترين التاريخ غير معقول؟!

كليوباترا: وبالأخص أنا ... الآن!

المؤرخ: ما وجه نقدكِ؟

كليوباترا: الحب في حياة كليوباترا! ... كيف تبدأ بحب يوليوس قيصر ... ثم تنتهي إلى حب مثل ... أنطونيو؟

المؤرخ: أليس هذا معقولًا؟

كليوباترا: بالعكس ... المعقول هو أن تبدأ بحب الشاب الوسيم الغرير المزهو بقوة عضلاته وطراوة حياته ... إلى أن تنضج سِنُّها قليلًا ويتفتّق عقلها فتحب الرجل في اكتمال رجولته ونضجه ورزانته وعقله واحترامه ووَقاره وسلامة تفكيره.

المؤرخ (كالمخاطِب نفسه): سلامة تفكيره!

كليوباترا: نعم، يوليوس قيصر هو الرجل الذي كان يجب أن يكون آخِر من يحتل قلب كليوباترا!

المؤرخ: ولكنه جاء في الأول ... الاعتبارات هنا زمنية بحتة!

كليوباترا: القلوب لا تدُقُّ مع الساعات! ... كان يجب أن يقف قلبها من بعده.

المؤرخ: ويقف التاريخ!

كليوباترا: لا شأن لي بالتاريخ ... إني أتكلم عن قلب امرأة! ... إن القلب الذي فُتح من قبل لقيصر، ما كان يجوز أن يُفتح بعد ذلك لأنطونيو!

المؤرخ: قلب كليوباترا مفتوح دائمًا للفاتحين!

كليوباترا (بغضب مفاجئ): أيّ كليوباترا تقصد؟

المؤرخ: بالطبع كليوباترا القديمة ... ألسنا الآن في جلسة نقد للتاريخ؟

كليوباترا (منفعلة): من أدراكم أنها لم تكن مظلومة هي الأخرى؟! ... تنهشون أعراض النساء وتُسمّون هذا تاريخًا ... لأن كل المؤرخين رجال! ... ما أسهل أن تُصوِّروا كل امرأة بائعة قلوب ... تاجرة هوًى، تسلبونها حقها في الاحترام ... وترفضون اعتبارَها إنسانة ذات قلب نظيف ... لا علاقة له بحياتها القذرة! قلب تعرف كيف تحتفظ به سليمًا في أعماقها،

وترتفع به عما حولها، وتحرص عليه أكثر من حياتها، لتعطيه بعد ذلك ... بغير مقابل ... لمن تراه جديراً به ... بغير مقابل ... نعم، بغير مقابل.

المؤرخ: ماذا دهاك؟! ... تدافعين عن كليوباترا هذا الدفاع الحار؟!

كليوباترا (ناهضة): اذهب ونَمْ ... أيها المؤرخ الأحمق!

المؤرخ: الأحمق؟

كليوباترا: معذرة! هذه أول مرة أوجه فيها إليك لفظًا نابيًا ... على الرغم مني ... لم أقصد ... أنت تعرف مكانك عندي.

المؤرخ: اسمعي أنا أيضًا لي ملاحظة ... لا على كليوباترا، بل على يوليوس قيصر ... هذا الرجل الكهل الحصيف، كيف استطاع أو استباح أن يستجيب إلى حب فتاة في مثل سن ابنته؟! ربما كانت هذه ملاحظة مؤرخ أحمق ... ولكنها على كل حال تستوجب النظر.

كليوباترا: الخطأ عندك هو أنك تقيم وزنًا لاعتبارات السن والزمن في مسائل الحب والقلب!

المؤرخ: يجب أن أُقيم وزنًا لكل الاعتبارات ... ليس معنى هذا أني سأكون بعيداً عن الخطأ، ولكن هذا واجبي؛ أن أضع فروضًا وأبحث نتائجها ... خُذي مثلًا: لنفرض أن قيصر كان يخفي عن كليوباترا سرًا لو تكشّف لها لأدركت سخافة ذلك الحب بينهما وعدم جدواه!

كليوباترا (في نظرة جدية): ماذا تقصد؟

المؤرخ (مُشيراً إلى مكان جهاز التسجيل): في هذا الركن، تجدين هناك وثيقة ... قد تُغيّر رأيكِ في أشياء كثيرة!

كليوباترا (ملتفتة إلى الركن): وثيقة؟!

المؤرخ: ليست مكتوبة ... إنها مسموعة ... بالصوت الحقيقي! ... تلك إحدى خصائص عصرنا الحديث ... أنه سيترك للتاريخ المقبل الوثائق ... لا على الورق ولا الحجر، في كتابة ونقوش، ولكنه سيتركها حقائق، بأصوات أصحابها أنفسهم ... نعم، تصوّري صوت يوليوس قيصر، بنبراته الحقيقية، يتكلم اليوم أمامنا! ... هكذا سيُصنع التاريخ غداً ... ستكون مهمتنا نحن المؤرخين ... أقصد مؤرخي الغد ... أن نضع السماعات على آذاننا في المكتبات العامة، ونحاول أن نستخرج الحقائق من منابعها الأصلية مباشرةً! ... أليس هذا مُدهشًا؟

كليوباترا (في نظرة فاحصة): ماذا تريد أن تقول؟

المؤرخ: أريد أن أقول إنك أنت كذلك الآن ... تستطيعين أن تستخرجي مباشرةً بعض حقائق قد تهمّك.

كليوباترا: تهمّني أنا؟

المؤرخ: نعم.

كليوباترا: عن يوليوس قيصر؟

المؤرخ: إذا شئت أن تُسمّيه كذلك!

كليوباترا: ما هي هذه الحقائق؟!

المؤرخ (مُشيراً إلى الركن): ما عليكِ إلا أن تُديري جهاز التسجيل لتعرفي (يتجه نحو مائدة عليها إناء زهر كبير) آه، حقّاً نسيت ... إنه ليس هنا الآن ... فقد نقلتُه أمس إلى جوار فراشي (مُشيراً إلى حقيبة خلف إناء الزهر تُشبه حقيبة الجهاز) هذه حقيبة أخرى بها كتب ومراجع تاريخية!

كليوباترا: جهاز تسجيل؟

المؤرخ: هناك في حجرة النوم ... اذهبي وأَصغِي إلى ما فيه ... اذهبي وحدك ... إني أُفضّل هذا! ... لماذا تنظرين إليّ هكذا؟! ... انهضي ... أرجوكِ ... واذهبي إلى هناك.

كليوباترا (ناهضة): وحدي؟

المؤرخ: نعم، وحدك! لا أريد أن أحضر المفاجأة ... ولا أن أرى وجهك وهو يتغير.

كليوباترا (وهي تخطو في تردّد واضطراب): إنك تُخيفني!

المؤرخ: وقد أُريحك.

(يقودها إلى حجرة النوم، ويُدخلها ويُغلِق بابها عليها، ثم يعود متمهلاً مُطرقًا لحظة ... ثم يقترب من المدفأة ويُدير الراديو الموضوع فوقها، فتخرج موسيقى هادئة ... ويظل يمشي في المكان جيئةً وذهابًا لحظةً مُفكّرًا ... وفجأة يُغلِق الراديو ويتجه إلى آلة التليفون.)

المؤرخ (في التليفون): ألو، ألو! ... إني سأغادر الفندق ... صباح اليوم ... نعم، بصفة نهائية ... نعم، قطار الصباح ... الثامنة؟ حسن جدًا ... بالطبع قائمة الحساب وكل شيء ... الحقائب؟! ستكون مُعَدّة ... شكرًا.

(يترك آلة التليفون ... ويتجه إلى أحد المقاعد ويجلس مُتطلّعًا إلى باب حجرة النوم المُغلَق ... الذي يُفتح بعد قليل.)

(كليوباترا تظهر من باب حجرة النوم ممتقعة اللون.)

المؤرخ (ناظرًا إليها): جئتِ بوجه غير الذي ذهبتِ به! ... ألم أقل لكِ ذلك؟

كليوباترا (بصوت باهت): نعم.

المؤرخ: عرفتِ كل شيء عني!

كليوباترا (بالصوت الباهت)**:** نعم.

(لحظة صمت عميق بينهما ...)

المؤرخ: رأيت إذن أي نوع من الرجال أنا ... وأي مصير ينتظرني؟

كليوباترا (مُطرقة)**:** إني ... أرثي لك ... أهذه نفسك؟ ... إني أرثي لك.

المؤرخ: وأرجو أن تغفري لي أيضًا ... أني أسأت بك الظن.

كليوباترا: إنك أسأت الظن بكل قلب طيب ... إنك صدمتني ... صدمة لم أكن أتوقعها ... لقد كنت فرحت بمعنى وصيتك، لا بقيمتها؛ لأني اعتبرتها مظهر نفس طيبة ... مظهر عطف منك عليّ ... برغم أسبابك التي لم تُقنعني ... لكن، ما كان يمكن أن يخطر لي على بالٍ أنك بهذه النفس ... تفكر في جريمة خسيسة تدفعنا إلى ارتكابها، وتُعدّ الدليل عليها، هذا الإعداد الدقيق، في جهاز تُخفيه ... نعم، لقد قلتَها أنت بنفسك إنك وضعت عن عمد هذه الوصية لتكون قنبلة، تنفجر مدمرةً إنسانيتي ومصيري ... إنها عمل شنيع.

المؤرخ: إنها لم تنفجر لحسن الحظ ... هذه القنبلة!

كليوباترا: إن مجرد علمي بأنها قد وُجدت ...

المؤرخ: مجرد علمك بها أفقدك الثقة والطمأنينة.

كليوباترا: أخشى أن يكون قد هزّ إيماني.

المؤرخ: إيمانك؟

كليوباترا: نعم، إيماني بك.

المؤرخ: بي أنا ... بعد كل هذا؟ ... إنك كريمة جدًا!

كليوباترا: ليس من السهل تدمير الإيمان في قلبي!

المؤرخ: إنك تُخجلينني.

كليوباترا: نعم، يجب أن تخجل ... إن كل ما جاء على لسانك في هذا التسجيل لَأمرٌ يدعو حقًا إلى الخجل ... كيف يمكن لرجل مثلك أن تُخالِجه هذه الإحساسات البشعة؟!

المؤرخ: لست أُنكر بشاعتها ... لكن، فكّري فيما أصابني، أليس بشعًا أيضًا؟

كليوباترا: الإشعاع الذري.

المؤرخ: نعم.

كليوباترا: إن أفظع ما أصابك به هو التشويه النفسي.

المؤرخ: التشويه النفسي؟! ... تشخيص عجيب!

كليوباترا: نعم، لقد دمّر فيك النفس الطيبة المؤمنة بالحب والخير، وتركها بقايا سوداء فارغة ... إلا من سوء الظن والحقد وشهوة الانتقام، وإيقاع الأذى بالغير.

المؤرخ: أترين هذا؟

كليوباترا: هذا وحده هو الذي ملأني رُعبًا ... تلك هي الكارثة الحقيقية ... رجل يعيش بنفس مشوهة.

المؤرخ: لن يعيش طويلًا على كل حال ... بضعة شهور لا أكثر.

كليوباترا: كنت أُفضّل أن يعيشها بنفس جميلة!

المؤرخ: لم أرَ شيئًا جميلًا منذ أُصبتُ ... غير تقارير الأطباء ... وهزات رءوسهم ... والتنقل من مستشفًى إلى مستشفًى ... ومن مدينة إلى مدينة، والنزول في حجرات الفنادق ... وحيدًا، ككلب أجرب ... وقراءة الصحف، والاستماع إلى الإذاعات، وما فيها من أخبار الاستعدادات والقنابل والانفجارات ... عالم مُشوّه النفس هو أيضًا، مريض بداء وهمي، وهو سوء الظن المتبادل بين دُوَله ... أيٌ نوع من الجمال يمكن أن يعيش في هذا الجو الخانق؟! أخبريني ... إن العالم كله اليوم هو أنا وأنت ... هو مثلي ومثلك ... هو عقل مثلي يُفكر في التدمير ... وإنسانية مثلك طيبة القلب، على الرغم من خطاياها الصغيرة، تُفكر في حياة راقصة باسمة!

كليوباترا: كم كنتُ أود أن ألتقي بك في ذلك الوقت!

المؤرخ: وما فائدة ذلك؟ ... أيٌ اهتمام بشخص مثلي محكوم عليه، هو ضرب من العبث والسخف.

كليوباترا: لا، لا تقل هذا ... ثق أنه كان في مقدوري أن أُغيّر كثيرًا من أفكارك المريضة! ... إن المرض هو في أفكارك.

المؤرخ: ربما ... إني في الواقع منذ عرفتُك على حقيقتك اليوم، لم يبقَ عندي شك أن في الدنيا نفوسًا طيبة.

كليوباترا: أكثر مما تتصور ... أُؤكد لك أن العالم يَعُجٌ بالقلوب المؤمنة بالحب ... القديرة على المحافظة على كل شيء جميل.

المؤرخ: إيمانك يُعجبني ... من يستمع إليك يعتقد أن تلك القلوب التي يعُجٌ بها العالم، ستمنع قنابل الدمار من أن تنفجر، كما منعتِ أنت قنبلتي من الانفجار.

كليوباترا: ولِمَ لا؟ ... ثِق أن هذا سيحدث أيضًا.

المؤرخ: عندما يحدث أكون أنا قد ذهبت ... منذ أمد طويل.

كليوباترا: تذهب؟ ... إلى أين؟

(جرس الهاتف يدق ... وعندئذٍ يُسرع المؤرخ إلى السماعة ويلتقطها.)

المؤرخ (في التليفون): ألو ... الحقائب؟ نعم، سأُعدُّها حالًا (ويضع السماعة).

كليوباترا: الحقائب؟ ... أتُغادر الفندق؟!

المؤرخ: والمدينة أيضًا ... بقطار الثامنة!

كليوباترا (ناظرة إليه طويلًا): لماذا تريد أن تهرب مني؟

المؤرخ: لست أهرب منك ... إني مسافر ... هذا كل ما في الأمر.

كليوباترا: تريد أن تهرب مني لأنك ترى من العبث والسخف أن أهتم برجل سيموت بعد قليل!

المؤرخ: لا ... إني مسافر وكفى!

كليوباترا: اسمع ... إني مُعتقدة كل الاعتقاد أنك لن تموت.

المؤرخ: آه ... علم الكف ... كنتُ نسيتُ هذا!

كليوباترا: لا تسخر ... إن قلبي وحده الآن هو الذي يُحدثني ... وقلّما يكذب قلبي ... إنك ستعيش طويلًا.

المؤرخ: لا تُحاولي أن تضعي في رأسي أوهامًا ... تكفي الأوهام التي صنعتها لنفسي ... من الخير أن تواجهي معي الواقع ... وتقولي لي: وداعًا، اذهب لمصيرك ... هكذا ودعتْ كليوباترا يوليوس قيصر وهو ذاهب إلى روما ليلقى حتفه!

كليوباترا: إنها أخطأت ... ما كان يجب أن تتركه يذهب.

المؤرخ: لم تكن تستطيع.

كليوباترا: أما أنا فأستطيع ... وإن لم أستطع منعك فسأذهب معك ... لن أدعك تعيش وحدك مع الموت وجهًا لوجه ... إن الذي سيقتلك أشنعَ القتل هو اعتقادك أنك تحمل الموت في كيانك حيث تسير ... ما أفظع هذه الفكرة في رأس إنسان! ... لقد جعلوك تعيش مع الموت، كأنه شريك حياتك ... تلعب معه وبه؛ لأن العالم كله — كما تقول أيضًا في تسجيلك — يلعب لعبة الموت ... ولكني لن أدعك تلعب لعبة الموت ... ستلعب مع الحياة ... لعبة الحياة ... إني أريد ذلك ... أريد أن تعيش ... وستعيش وتَرُمّ بقايا نفسك ويعود إليها جمالها ... وترى بها كل شيء جميلًا.

المؤرخ (ناظرًا إليها طويلًا): إنك تُعجبينني.

كليوباترا: ها هو بريق الحياة يعود إلى عينَيك ... انظر في المرآة.

المؤرخ (كالمخاطِب نفسه): بريق الحياة؟!

كليوباترا: نعم، لن يختطفه منك أحد ... لن يختطفك مني أحد ... سأمنع ذلك عنك ... سأمنع ذلك.

المؤرخ: أنت ... تمنعين ذلك؟!

كليوباترا: نعم أنا ... الراقصة الصغيرة في ملهى «الطاووس الذهبي»! ... سأمنع عنك الموت ... إنه لن يجرؤ على الاقتراب منك وأنت معي ... كل ما أطلبه منك أن تبقى معي.

المؤرخ (ناظرًا إليها): إنك صغيرة جميلة ... والحياة أمامك واسعة.

كليوباترا: حياتي لن تكون واسعة ولا باسمة إلا وأنت معي ... أرجوك أن تبقى ... لا تسافر ... سأُعالجك أنا ... سأشفيك ... لا تذهب.

المؤرخ: تريدين هذا حقًا؟! ... ألَا يضيق صدرك وينقبض قلبك بجوار رجل يموت؟!

كليوباترا: لا تذهب ... أرجوك!

المؤرخ: على أي حال، لن يطول بقائي بجوارك.

كليوباترا: الزمن لا يهم ... حياتنا الرائعة لا تُقاس بالوقت ... كل ما أطلبه منك هو أن تبقى معي الآن ... سنعيش معًا ... حياة باسمة!

المؤرخ: فليكن ما تريدين ... هذا لن يُكلفني شيئًا ... ولكنه سيكلفك أنت ... (يتجه إلى آلة التليفون ويرفع السماعة) ألو، ألو ... إدارة الفندق ... سأبقى هنا ... نعم، لن أُسافر (يضع السماعة).

كليوباترا (تتعلق بعنقه فَرِحةً وتُقبِّله): شكرًا لك!

المؤرخ (يلمس موضع القبلة مأخوذًا): ماذا فعلتِ؟

كليوباترا: ساءك أني قبّلتك؟

المؤرخ (شاردًا): لا!

كليوباترا: الحياة جميلة ... أليس كذلك؟! ما أكبرها جريمة أن نُشوِّهها نحن بأيدينا!

المؤرخ (كالهامس): نعم ... حقًا!

كليوباترا: أرى في وجهك الآن أنك بدأت ترى كل شيء جميلًا من جديد!

(المؤرخ يهز رأسه أنْ «نعم» وهو ينظر إليها طويلًا في بارقة أمل، وكأنه يقول: مَن يدري؟!)

(ستار)

جدول المحتويات

الفصل الأول
الفصل الثاني
الفصل الثالث
الفصل الرابع